■ أكثر من ٣ ملايين نسخة بخمسين لغة

بحثك عن الله

ريتشارد أ. بنيت

بحثك عن الله

ريتشارد أ. بنيت

بحثك عن الله

ومهما كان المرء ذكيًّا، فهو لا يقدر البتّة أن يكتشف الإله الحيّ بالحكمة العالميّة. فإنَّ العالم... لم يعرف الله بالحكمة. ولو كان ممكنًا اكتشاف الله من طريق الذكاء البشري، لكان أصغر من أن يكون إلهًا. ليس ذلك فقط، بل أيضًا لو كانت الفطنة البشريَّة ضروريَّة لاكتشاف الله لكان أولئك الذين لا يملكون قدرًا وافيًا من الذكاء محرومين في بحثهم عن الله. ولكن ليس هذا هو واقع الحال.

في صليب المسيح، تلاقت قداسة الله وعدالة الله ومحبَّة الله جميعًا في تضحيةٍ واحد فائق. فهنالك تزكَّت قداسة الله، وعدالتُه اكتفت؛ وهنالك طوَّقت محبّة الله ناسًا خُطاة، مثلي ومثلك. إلاَّ أنَّ الثمن الذي دفعه الله كان باهظًا.

كتاب لا بدّ منه للباحث عن الله بجديَّة

بحثك
عن الله

بحثك عن اللّه

ريتشارد أ. بَنيت

حقوق النشر محفوظة©

Cross Currents International Ministries

الترجمة العربية مطبوعة بإذن من أصحاب الحقوق.
الطبعة الأولى ٢٠٠٥
الطبعة الثانية ٢٠٠٨
ISBN: 9789953530079

التصميم الدّاخلي والغلاف

Dar Manhal Al Hayat
دار منهل الحياة

لولا ما أمدَّتني به «دوروثي» زوجتي من تشجيع ومحبّة وتضحية وصلوات، ما كان هذا الكتاب ليُكتب. وكما قال الرسول بولس عن «فيبي»، هكذا أقول عن «دوروثي»:

... «صارت مساعِدة لكثيرين، ولي أنا أيضًا» (رومية ١٦: ٢).

المحتويات

تصدير ٨

مقدّمة ٩

الفصل ١ ١٣
هل من إله حقًّا؟

الفصل ٢ ٢١
هل دليلك الروحي موثوق؟

الفصل ٣ ٣٧
ما حقيقة الله؟

الفصل ٤ ٤٧
ماذا يفرّق الناس فعلاً؟

الفصل ٥ ٥٩
ما المشكلة الحقيقيّة؟

الفصل ٦ ٦٩
لماذا الناس مُضلَّلون هكذا؟

الفصل ٧ ٨١
أحقًّا يحبُّني الله؟

الفصل ٨ ١٠٧
أين يمكنني أن أجد الحياة؟

الفصل ٩ ١٢٣
كيف يمكنني أن أصير فردًا من عائلة الله؟

الفصل ١٠ ١٣٥
وماذا بعد؟

تصدير

أُوصي من صميم قلبي بقراءة هذا الكتاب «بحثك عن الله»، وذلك لسببين. أولهما هو أنّي أعرف المؤلف! فهو ابنٌ لي في الإيمان، **وليس لي فرحٌ أعظم من هذا: أن أسمع عن أولادي أنّهم يسلكون بالحقّ (٣ يوحنّا ٤)**.

أمّا السبب الثاني فهو أكثر موضوعية. ذلك أنّ الدكتور «ريتشارد بَنيت» قد أدّى عملاً فاخرًا في الإفصاح، على نحوٍ واضح ومركّز ومقنع، عن الأسس الجوهريّة لعلاقة الإنسان بالله.

يفيدنا الكتاب المقدّس أنّ الله جعل الأبديّة في قلوب بني البشر... (جامعة ٣: ١١). وعليه، فلمّا كان البشر قد صُنعوا للأبديّة فإنّ الأمور الوقتيّة ما كانت لتُشبعهم أبدًا شبعًا كاملاً ودائمًا. إنَّ فيهم فراغًا لا نهاية له ولا يستطيع أن يسدَّه أحدٌ غير الله وحده. وقد عبّر القديس أُغُسطينوس عن ذلك على أكمل وجه إذ صرّح قائلاً: «اللهمَّ، قد صنعتَنا لنفسك، ولن يقرَّ لنفوسنا قرار حتّى تستريح فيك.» وهذا الكتاب يساعدنا على مواصلة ذلك البحث حتّى نفوز بالراحة في علاقة حيّة وشخصيّة بالإله السرمديّ.

ودعائي الحارُّ إلى الله أن يقرأ كثيرون جدًّا الصفحات التالية، ويعملوا بالرسالة التي تتكشَّف فيها، لمجد الله وخيرهم الأبديّ.

د. ستيفن ف. أُلفورد

مقدّمة

في أثناء أسفارنا الواسعة، التقينا أنا وزوجتي «دوروثي» كثيرًا من الأصدقاء، على دروب الحياة العريضة والضيّقة، وهم ينتمون إلى حضارات شتّى، ولهم خلفيّاتٌ اقتصادية ثقافيّة متفاوتة.

ولا نعتقد أنّ التقاءنا هؤلاء الأفراد كان صدفة. كما لا نعتقد أيضًا أنّ هذا الكتاب الصغير وصل إلى يدك بالصدفة. وعلى مرِّ السنين، تركّزت أهمُّ الأحاديث التي تجاذبنا أطرافها مع أصدقائنا حولَ بحثنا عن الله. وبعض الأفكار التي تشاركنا فيها يتضمَّنها هذا الكتاب.

إن الطبعة الأولى من «بحثٌ عن الله»، ومنها أُنتجت الطبعات المنقَّحة التالية، كانت مشروعًا شخصيًّا للتعبير عن الشكر والإمتنان. فإذ قاربْنا ذكرى زواجنا الخامسة والعشرين، فكّرنا – أنا وزوجتي – في ما عسى أن يكون السبيل الأفعل للتعبير عن تشكراتنا لله على صلاحه وجوده من نحونا.

وتبادر إلى ذهننا أنْ ليس من سبيل أفضل من أن نكتب ونطبع، ونُعطي خمسة وعشرين ألف شخص، رسالةً من شأنها أن تؤتيَهم رجاءً وسلامًا. وبهذا يكون ألف قارئ مقابل كلِّ سنة من سني زواجنا.

وقد بارك الله تعب المحبّة البسيط هذا، إذ شقَّ الكتاب فعلاً طريقه في جميع أنحاء العالم. فإنَّ الخمسة والعشرين ألف نسخة كلَّها وصلت إلى أيدي الناس مباشرةً في بلدانٍ كثيرةٍ. وكم أبهجنا كثيرًا أن نتلقَّى رسائل من أولئك الذين وجدوا لهم قصدًا جديدًا في الحياة، من جرّاء قراءتهم «بحثُك عن الله»!

كما تلقَّينا طلبات عديدة أن نترجم هذا الكتاب إلى لغات أخرى. ولذلك قرَّرنا أن نُجري أوّل تنقيح للنصّ لأجل هذا الغرض، مقرونًا بالصلاة عسى يُتاح لعددٍ من الناس أكبر بكثير وفي جميع القارات أن ينالوا عونًا في إطار بحثهم عن الله. نتيجةً لذلك طُبع ووُزِع أكثر من ثلاثة ملايين نسخة في خمسين لغةً وفي كلِّ مكان. وصلاتنا الآن أن تكون الطبعة التي في يدك، أيُّها القارئ الكريم، عونًا لقرّاء كثيرين جدًّا.

لن يحوز الفصلان الاوّلان القدْر عينه من اهتمام كلِّ قارئ. فالفصل الاوّل كُتِب لاؤلئك الذين قد يتساءلون في وجود الله. ومع أنَّ الفصل الثاني سيحظى باهتمام خاصّ من قِبَل الذين تعلّموا أن يتساءلوا بشأن كلِّ شيء، فله أهميّة حيويّة بالنسبة إلى جميع القرّاء، لانَّه يشجّع كلاً منكم على تقييم معتقداته ومواقفه.

غير أنّ هذين الفصلين التمهيديّين جوهريّان بالنسبة إلى الموضوع الشامل، لانَّهما يسهمان في ترسيخ موثوقيّة باقي المعلومات. فالفصول الثمانية الباقية تتضمّن حقائق أساسيّة تُعينك في بحثك عن الله. وهكذا نضع هذه الطبعة الجديدة بين يدي الله حتّى يباركها حسب استحسانه.

ونودُّ كلانا، أنا و«دوروثي» أن نعبّر عن شكرنا لله على المحبة والصلوات والتبصُّرات التي قدَّمها لنا الأعـزاء الذين أفضَوا إلينا باختبارهم الشخصيّ لله. وهم أكثر جدًّا من أن نذكرهم بأسمائهم. فلهؤلاء الأحباء نقول: شُكرًا!

الجيولوجيا هي سيرة الأرض الذاتيّة. ولكنّها، ككلِّ سيرة ذاتيّة، لا ترجع إلى البداءة.

– السير شارلز لايِلّ –

هل من إلهٍ حقًّا؟

ربَّما مرَّت بك في حياتك أوقاتٌ بدت الأمور فيها قاتمة جدًا حتى إنّك لم تشكَّ في محبّة الله فقط، بل ساءلت نفسك أيضًا عن وجوده بحدّ ذاته.

إنّ الكتاب المقدّس لا يُفسّر وجود الله، ولا يبرهنه أيضًا، بل يقرُّه كأمرٍ بديهيٍّ فحسب. وأوَّل عبارة في التوراة، **في البدء خلق الله السماوات والأرض (تكوين ١: ١)**، تصريحٌ جليل يتميّز بالبساطة والعمق معًا. فهي تعلن أنَّ الله كائن، وأنّه خالق الكون.

منذ عدَّة سنين مضت، شغلْنا أنا وزوجتي وظيفة تمريضية رئيسية في واحدٍ من أهم المستشفيات الطبية والنفسية المرموقة في أوروبا. وذات يومٍ عمد طبيبٌ نفسيٌّ شهير، يدَّعي أنّه مُلحِد، إلى امتحان «دوروثي» في إيمانها. فأجابته: «يا دكتور، أنت تعرف أنّني أحترمك كثيرًا بوصفك ثقةً في مجالك. فأنت محاضر جامعيّ معتبَر، واسمُك يحظى باحترامٍ واسع النطاق في مهنة الطبّ. ولكنْ هل لي بأن أقترح عليك، قبل أن تصرِّح ثانيةً بأنّك ملحد، أن تقرأ الكتاب المقدّس بمثل الحماسة التي ميَّزت أبحاثك في الطبّ النفسي.»

ثمّ ذكَّرته بعددٍ من مرضاه ممَّن أطلقوا حديثًا من جناح المدمنين

بسبب التغييرات المدهشة التي أحدثتها قوة الله في حياتهم. وتمكّنت من تسمية شخص بل شخصين كان التحوّل في حياتهما جذريًا جدًا حتى إنّهما أخذا يعيشان حياة مثمرة.

وأخبرت «دوروثي» ذلك الطبيب النفسي الشهير كيف تعرّف كلا ذينك المريضين بالله على نحوٍ شخصيّ وحيويّ. وكان الطبيب نفسُه على علمٍ وافٍ بأنّ هذين المريضين لم يستجيبا قطُّ لأحدث التقنيات الطبيّة النفسيّة. فلم يستطع أن يعلّل ظاهرة تغيّر حياتهما، لا من حيث كونه ملحدًا، ولا أيضًا من حيث كونه طبيبًا نفسيًا.

وإذا بهذا الطبيب، بعدما كان قد قال لـ«دوروثي» إنّه لا يؤمن بالله، يختم تلك المحادثة طالبًا إليها أن تصلّي لأجله! وكذلك وعدها بأنّه، أوّل مرّة في حياته، سيباشر قراءة الكتاب المقدّس بذهنٍ منفتح.

وبعد سبعة أسابيع من القراءة الدقيقة، قال الطبيب النفسيّ لـ«دوروثي» إنّه لم يعُد ملحدًا معترفًا بإلحاده. غير أنه ما زال يعاني مشكلة، إذ تبيّن له انَّ الالتزام الأصيل تجاه الله يتطلب بالضرورة تغييرًا في نمط حياته. فقال مُقرًّا: «ما عادت مشكلتي فكريّة. ولكنني أجد أنّي غير مستعّد لقبول التغييرات التي ستجري إن صرتُ مؤمنًا ملتزمًا.»

وبعد أن واظبنا على الصلاة لأجل صديقنا الطبيب طيلة عشر سنين، وصلتنا أخيرًا رسالة منه أخبرنا فيها بإيمانه الذي اهتدى إليه حديثًا وبتسليمه نفسه لله والتزامه الشخصيّ تجاهه. وقد فرحنا أيّ فرح، إلاّ أنّنا لم نُدهش كثيرًا، لانّنا كنا نعلم أنْ **الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله (رومية ١٠: ١٧).**

فلِكي يعين الله كلَّ واحدٍ منّا على التعرُّف به، غرس في داخل كياننا وعيًا باطنيًا لوجوده.

وقد يختار بعض الناس ألاّ يؤمنوا بالله، ولكنْ لم يعشْ قطُّ على كوكب الأرض شخصٌ لم يستطع أن يؤمن بالله.

حتّى في العالم المادّيّ بالذات، قدَّم الله بيّنات عديدة على وجوده. وكلّما زاد العلم في قرننا الحادي والعشرين غوصًا على أسرار الكون، ازدادت لامنطقيّة الرأي القائل بأنَّ هذا كلّه برز إلى الوجود بغير مصمِّم. فما كان أحدٌ بتاتًا ليرتئي أنّ مكّوكًا فضائيًّا يمكن أن يحلِّق في أبعاد الفضاء، ويدور حول الأرض، ثم يهبط في اللحظة والنقطة المتوقَّعتين، لولا اتحاد جهود العبقريات الخلاّقة لدى المصمّمين والتقنيّين وعلماء الرياضيات. وبالمثل، ما كان ممكنًا قطُّ أن ينوجد الشروق والغروب والفصول والمواسم، والمجرَّات والذرّات، وقوّة الجاذبيّة وسلطان المحبّة، لولا التخطيط والتصميم من قِبل إلهٍ خلاّق.

ويقينًا أنّه يعوزنا إيمانٌ مضاعفٌ ملايين المرَّات لنعتقد أنّ خليقة كاملةً منظمّةً نجمت عن «إنفجار كبير»، بدلَ أن نؤمن بالله الخالق، إذ لا يمكن أن يحصل أيُّ تصميم ما لم يوجد مصمّمٌ أوَّلاً.

حتَّى تلك الحكومة التي قد أنكرت وجود الله عبَّرت فعلاً عن ثقتها في الكون بوصفه ذا قانون ونظام كلَّما أرسلت رائد فضاء في رحلة فضائيَّة. فمن طريق الاستعانة بهذه القوانين فقط تيسَّر لروّاد الفضاء عندهم أن يرجعوا إلى الأرض سالمين. أفلا يبدو غريبًا إذًا أنّ هؤلاء القوم

الذين يعتمدون على نواميس الطبيعة هم أنفسهم ينكرون وجود واضعٍ للنواميس، ووجود مخطِّط أعلى؟

ثمَّ إنَّنا جميعًا على علمٍ بالطاقة المدمِّرة تدميرًا هائلاً والتي تُطلَق عند إنفجار قنبلة ذريّة. إنمّا قد أُجريت حسابات بيّنت أنّه كلَّ ثانيةٍ بمفردها تُطلِق الشمس كميّة من الطاقة تعادل خمسة آلاف مليار قنبلة ذريّة. وبالمقارنة مع الكواكب الأخرى المطلقة للطاقة، ليست شمسنا أيضًا كبيرة جدًا. وما زلنا لا نعلم بالفعل كم من النجوم يوجد في الكون. فمع أنَّ مليارات النجوم قد جُمعت داخل نطاق بصر الإنسان، فمن المحتمل أن تكون هذه النجوم فقط الحاشيةَ الخارجية للمجهول الشاسع. ولكنَّ علماء الفلك اليوم يدركون أن الطاقة المنطلقة في بعض المجرَّات هي أكبر بمليارات المرّات من الطاقة الصادرة من شمسنا نحن! فكيف ممكن أن توجد مثل هذه القدرة ما لم يكن موجودًا خالقٌ لا حدود لقدرته؟

حقًّا إنَّ الخليقة تعرِّفنا بإلهٍ ذي تصميم، إلهٍ ذي قانون، إلهٍ ذي قدرة غير محدودة البتَّة. ويقول الكتاب المقدّس:

السماوات تحدّث بمجد الله، والفلك يُخبر بعمل يديه. يومٌ إلى يوم يذيع كلامًا، وليلٌ إلى ليلٍ يبدي علمًا. لا قول ولا كلام، لا يُسمَع صوتهم. في كلِّ الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم (مزمور ١٩: ١-٤).

لأنَّ أمور (الله) غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم، مدركةً بالمصنوعات قدرتُه السرمديّة ولاهوته، حتّى إنّهم بلا عُذر (رومية ١: ٢٠).

فلا عذر لأحد، في أيِّ مكان، كي يُنكِر وجود الله.

ولدى التفكير في ما خلقه الله من اتساع ونظام وقدرة، يشعر كثيرون بأنّهم صغار جدًّا وعديمو الشأن.

وقد كانت لداود، الملك النبيّ، ردَّة الفعل هذه، فعبّر عنها على هذا النحو:

إذا أرى سماواتك، عمل أصابعك، القمر والنجوم التي كوّنتها، فمن هو الإنسان حتّى تذكره، وابن آدم حتّى تفتقده (مزمور ٨: ٣ و٤).

إنّ معرفتنا لسماوات النجوم قد ازدادت اليوم ازديادًا هائلاً، لأنَّ التلسكوبات العملاقة تكبّر رؤيتنا للكون نصف مليون ضعف، والأقمار الصناعيّة ترسل رموز الصُوَر إلى كوكب الأرض مرتحلةً عبر الفضاء الخارجيّ. ونتيجةً لذلك، قد يتزيّن لنا أن نطرح السؤال الذي عبّر عنه داود قديمًا: «كيف يُعقل أنَّ إلهًا خلق هذا الكون كلَّه يعنيه أمري أنا الإنسان الضئيل؟»

ولكن من الخير أن عصر التلسكوب هو أيضًا عصر المكروسكوب. فقد بتنا على علم اليوم بوجود عالَم مصغَّر لا تمكن رؤيته إلاّ بالمكروسكوب، وهو عجيب ومدهش على نحو لا يصدَّق، شأنه شأن اتّساع الفضاء الخارجيّ. حتّى إنَّ النورَ أثقل من أن يكشف أسرار هذا العالم الذي هو أصغر من أن يُرى بالمكروسكوب في كلِّ دقائقه. وما لا يخضع لعين مكروسكوب المختبر التقليديّ الذي يستخدمه العلماء يمكن التقاطه بواسطة مكروسكوب الإلكترون الذي يكشف كشفًا أوسع نطاقًا ما يتمثَّل في عالمنا الصغير صغرًا متناهيًا من جمال وتصميم ونظام وقدرة.

وعليه، فإذا تساءلتَ مرَّةً هل يكون في فكر الله شخصٌ بهذا الصِّغَر، نظيرك أنت، فأصغِ إلى عالِم الفيزياء النوويَّة إذ يُطلعك على مدى أهميّة الصِّغَر الحقيقيّ بالنِسبة إلى ضبط الكون كلِّه وحفظه. فإنْ باعدتَ بين نيوترونات الذرّة وبروتوناتها مسافة لا تتعدّى خُمس الجزء التريليونيّ من السنتيمتر (١/٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٥ سنتم) فبدلاً من بقاء المادَّة في كتلة صلبة، يتشظَّى العالَم في انفجار نوويٍّ كونيّ. بلى، إنَّ الصِّغَر مهمٌ مثل الكبر عند إله الخَلق المبدع.

فممّا يطمئننا أن نعرف أنّه عندما نطرح السؤال: «مَن هو الإنسان حتّى تذكره؟» لا يُحدّد حجم الإنسان قيمته. بل على العكس، تُعزى قيمتنا الشخصيّة في نظر الله إلى عوامل مختلفة جدًا. ولقد أعلن لنا الله لماذا نُعتبر ذوي قيمة ثمينة في نظره وكم نحن أعزاء عنده.

ولئن كانت الخليقة بالذات تتحدّث عن إله ذي تصميم ونظام وقدرة، فقد شاء الله أن يعلن ذاته على أنّه إله المحبّة والرحمة غير المحدودتين، مَن لا يريد لنا إلا خيرنا الأعظم. ولكنْ إن شئتَ أن تهتدي إلى هذا الإله العظيم، فمن الحتميّ أن يكون دليلك الروحيُّ موثوقًا بصورة كليّة.

وقفة تأمّل

١ إذا رميتَ في الهواء حفنةً من بُرادة الحديد، فهل تتوقّع أن تقبض على ساعة سويسريَّة لدى نزول الحديد على الأرض؟

٢ هل كان ممكنًا أن ينشأ الكون، بكلِّ تصميمه المذهل والدقيق، لولا الإله الخالق؟

٣ مع أنَّ الخليقة يمكن أن تدلّك إلى إلهٍ خالق أعلن ذاته إله تصميم ونظام وقدرة، فهل تكفي الخليقة، من ذاتها وبذاتها، للبلوغ بك إلى فهمٍ وافٍ لمحبّة الله ورحمته؟

الكهف المظلم يستطيع أن يجتازه بسهولة مَن دخله بمشعل.
– أفلاطون –

الطبيعة هي النور الخافت الآتي من فوهة الكهف. أمّا المشعل فهو الكتاب المقدّس.
– أ. هـ. سْتُرنغ –

هل دليلك الرّوحي موثوق؟

منذ مدّة قصيرة، رَوَت الصحف وقائع مقلقة بيَّنت أنَّ فقدان كثير من الأرواح في حادثة تحطُّم طائرة كان سببه إشارة رادار خاطئة أدَّت إلى كارثة مأساويّة. غير أنَّ هذه الحادثة المأساوية تتوارى في الظلال إذا قورنت بما يحدث إذا وضع الناس ثقتهم في «جهاز رادار روحيّ» يوجّههم إلى كارثة روحيّة رهيبة.

وفي العالم اليوم أصوات متضاربة ومربكة كثيرة، يدَّعي كلٌ منها أنّه دليلٌ يهدي إلى الله. فكيف تعرف بأيّ صوت تثق؟ في بحثك عن الله لا يُعقل أن تستهدي بالصوت الغلط لأنَّ القضايا الأبديّة تكون على المحكّ.

وقد كتب رئيس الوزراء البريطاني «دبليو إي غلادستون»: «إنَّ الكتاب المقدّس مطبوع بطابع أصالة خاصّة، وتفصله عن كلِّ منافسٍ له مسافة لا تُقاس.»

كما قال الرئيس الأميركيّ «أبراهام لنكولن» مرّةً: «أعتقد أنّ الكتاب المقدّس هو أفضل عطيّة بين كلِّ ما وهبه الله للبشر.»

ولئن شهد كثيرون من رجال التاريخ العظام لفرادة الكتاب المقدَّس، فإنّه بالحقيقة خير شاهد لِذاته.

وقد كان الملك داود صريحًا بشأن موثوقيّة دليله الروحيّ، إذ قال: **سراجٌ لرجلي كلامك ونورٌ لسبيلي (مزمور ١١٩: ١٠٥)**.

وحتّى هذا اليوم بالذات ما برح الناس يتيقّنون بأنّ في إمكانهم أن يثقوا بالكتاب المقدّس دليلاً لهم إلى الله. فعلى الرغم من أولئك الذين حاولوا تدمير مصداقيته، فهو يصمد اليوم بمثل ما كان له أمسًا من ثبات وصدق. إنّه بالحقيقة نسيجُ وحدَة بين كلِّ ما كُتب في العالم.

ولأنّ البشر يحتاجون إلى التيقُّن بأنّ الكتاب المقدّس فريدٌ وأصيلٌ معًا، فقد ختمه الله بعدَّة ختوم تؤكِّد كونه «كلمة الله». فعلى صفحات الوحي، وأيضًا من سجلاّت التاريخ المدنيّ، لا بدَّ أن يجد الباحث الشريف بيّناتٍ دامغةً تؤيِّد هذه الحقيقة: **كلُّ الكتاب هو موحًى به من الله (٢تيموثاوس ٣: ١٦)**.

ولو كان كاتبٌ واحد قد كتب الكتاب المقدّس كلَّه، ما كان يُدهشنا أن نجد موضوعه متوسّعًا بطريقة مرتّبة ومتدرّجة. غير أنّ كتاب الكتب هذا لم يكتبه شخصٌ واحدٌ فقط، بل كتّابٌ كثيرون مختلفون، ينتمون إلى حضاراتٍ شتّى، وعلى مدى عدّة قرون، ومع ذلك فهو يشتمل على بسطٍ متناغمٍ ومنظَّم وفريد للحقِّ المتعلّق بالله. وهذا في ذاته رائع جدًا، بل هو أكثر من رائع... إنَّه مُعجزيّ!

أضِف أنَّ منقِّبي الآثار ما ينفكُّون يُخرِجون بيّناتٍ جديدةً تُثبت دقَّة سجلِّ الكتاب من الناحية التاريخيّة. فإنَّ حوادث سبق أن نالها

الاستهزاء باعتبارها وهميَّة قد أثبتَت صحَّتها الآن رفوش علماء الآثار المحدثين.×

بلى، إنَّ الكتاب المقدّس حقًّا هو كتاب الله الذي يتضمّن رسالته إلى جميع البشر.

وعلى الرغم من حقيقة كون الكتاب المقدّس كتاب الله، فإنَّ بعض الناس ما زالوا «ينفرون» من قراءته بسبب التوهُّم الشائع بأنَّ العالم ينقسم فئتين، هما العلماء الذين يواجهون الحقائق، والمؤمنون الحقيقيّون الذين يُغمضون عيونهم دونها. والمعنى الحاصل ضمنًا أنَّ العالِمَ الأصيل لا يمكن أن يكون مؤمنًا صادقًا. ولكنَّ في العالم اليوم علماء عظماء كثيرين يرفضون هذا الافتراض. فمع أنَّ الكتاب المقدّس ليس كتابًا مدرسيًّا علميًّا، فحيثما أتى على ذكر أمورٍ ذات علاقة بالعلم ما كذَّبته قطُّ الحقائق العلميّة الوطيدة. بل إنّ الكتاب المقدّس، في قصديّته وتصميمه، يجاوز حدود العلم إلى مدًى بعيد جدًا.

فالعلم مثلاً لا يستطيع أن يفسِّر سبب وجودنا هنا على كوكب

× مثلاً، سنة ١٨٦٨، زار رحّالة ألماني اسمه «أكلاين» بلاد موآب القديمة، وهي التي تُسمّى اليوم «الأردن». وهناك اكتشف نصبًا حجريًّا منقوشًا فيه أربعة وثلاثون سطرًا كتبها «ميشع» ملك موآب. وقد تمَّ تدوين هذا النقش تخليدًا لذكرى عصيانه على بني إسرائيل. وعُمري وأخآب كلاهما مذكوران في الكتاب المقدّس (١مل ١٦، ٢مل ١) وفي ذلك النُصب. وفي كِلا المرجعين نُفاد أنَّ هذين الملكين من ملوك بني إسرائيل كانا مستبدَّين بموآب. وكثير من مثل هذه الاكتشافات الحديثة تؤيّد الدِقَّة التاريخيّة التي يتميّز بها سجلُّ الكتاب المقدّس.

الأرض، ولا هو يستطيع أن يقول لنا أين نحن ذاهبون بعد انتهاء حياتنا هنا على الأرض. ولا يستطيع العلم كذلك أن يقول لنا ما هي فحوى الحياة، ولا أيضًا ما هي قيمة الشخص الحقيقيّة. فمهما كان المرء ذكيًّا (أو ساذجًا)، يحتاج كل امرئ إلى معونةٍ إلهيّة كي يبلغ معرفة الحق بشأن الله. ولهذا، بكلّ يقين، قال الفيلسوف وعالِم الرياضيات الفرنسيُّ «بلايز باسكال»: «إنَّ أسمى إنجاز يحقّقه العقل هو أن يبيّن لنا أنَّ للعقل حدودًا.» فما كنّا لنحصل البتّة على أجوبة يُركَن إليها عن أهَم أسئلة الحياة، لولا كتاب الله.

فلننظُر الآن في دليلين قويّين يؤكدان أنَّ الكتاب المقدّس هو بالحقيقة كتاب الله. أمّا الدليل الأوّل فهو الدقّة التي لا تُصدَّق في إعلاناته النبويّة. وأمّا الثاني فهو التأثير الفعّال والإيجابيُّ الذي كان له في أولئك الذين أخذوا رسالته على محمل الجدّ.

دقّة الكتاب النبويّة

داخلَ كيان معظمنا فضولٌ لمعرفة ما يخبّئه المستقبل. والكتاب المقدّس يكشف بعضًا من أهمِّ أحداث المستقبل، موضّحًا كثيرًا منها بتفصيل دقيق وأخّاذ. وقد تسأل الآن: «كيف يمكن أن تكون على مثل هذا اليقين؟»

إجابةً عن هذا السؤال، لنتخيَّلْ أنّك تقوم بقضاء عُطلة مشيًا على الأقدام في بلدٍ لم يسبق لك قطُّ أن زرته، وليس لك من دليل سوى

الخريطة التي في يدك. وأمس تبيّن لك أنَّ هذه الخريطة موثوقة كلّيًا، لأنّك – كما وضّحت لك تمامًا – وجدت نهرًا ثمّ المدينة التي بتَّ فيها البارحة. واليوم ينبغي لك أن تقرّر خطَّ سير جديدًا تنتهجه. فأمامك أرضٌ مجهولة، ولكن خريطتك تقول لك أنّك إذا انعطفت شمالاً تجتاز بعض الغابات فتصل مكانًا تجد فيه بحيرة. وأنت الآن ترغب في رؤية تلك البحيرة، فماذا تفعل؟ أعتقد أنّك تعمل بتوجيهات الخريطة وتنعطف شمالاً. ويقينًا أنّ السبب الرئيسي لثقتك في القيام بذلك هو حقيقة كون خريطتك قد برهنت لك أمس أنّها دليلٌ دقيق في أماكن مجهولة. فهي قالت لك ماذا ستجد قبل بلوغك المكان، وقد كانت على صواب!

فمن أروع البراهين على كون الكتاب المقدّس كلمة الله دقَّتُه الفريدة عند التنبّؤ بأحداثٍ مستقبليّة. وعلى صفحاته نقرأ نبوّاتٍ كثيرة بتنا نعلَم، من منظور اليوم، أنّها قد تمت بالضبط كما سبق أن أنبئ بها قبل مئات السنين.

هذه النبوّات تشمل نطاقًا شاسعًا، إذ تتناول جميع شعوب الأرض كما تتضمّن تفاصيل محدَّدة جدًا عن بني إسرائيل ومنطقة الشرق الأوسط. ولكنَّ ما هو أكثر أهمية إنّما هو مئات النبوّات المتعلّقة بمجيء المسيح. فلأنَّ حصَّة كبيرة من هذه النبوّات المسيحانيّة صارت الآن من وقائع التاريخ، نُدرِك كم كانت دقيقة على نحوٍ لا يُصدَّق في بعض التفاصيل الدقيقة، والبعيدة الاحتمال إلى أقصى حدٍّ، في ما يتعلّق بولادة المسيح وحياته وموته.

على أساس هذا السجلِّ التّام الدقيق، من المنطقيّ (والصواب) أن

نفترض أنَّ المستقبل سيتكشَّف تمامًا عمَّا تنبّأ به الكتاب المقدّس. وكلَّ سنة، ينبسط أمام أعيُننا بالذات مزيدٌ من البيّنات على دقَّة الكتاب المقدّس في نبوّاته. وبالحقيقة أنَّ قراءة الكتاب المقدَّس أشبه بقراءة صحيفة الغد!

كان الدكتور «وِلبُر سميث» تلميذًا للكتاب المقدَّس، طوال عمره. وقد وجد بهجةً فائقة في التشديد على دقَّة الكتاب النبويّة التفصيليّة. وإذ فارق بين نبوّات العهد القديم العديدة التي تتحدَّث عن المسيح الآتي وبين تعاليم آخرين زعموا أنَّ لديهم الحقّ، أكَّد أنَّ أيًّا من مؤسِّسي الأديان الأخرى لا يستطيع الإشارة إلى أيَّة نبوّات تحدَّثت عن مجيئه قبل حصوله بمئات السنين، كما لا يستطيع أيٌّ منهم أن يحدّد بدقَّة نصًّا قديمًا تنبّأ على نحو محدّد بظهوره.

إنّما ينبغي لنا الآن أن نعترف بوجود «تنبّؤات» مزعومة لا تقتضي كثيرًا من الوحي لتكون دقيقة.

فبفضل الكومبيوتر، والمقابلات المتعلّقة بيوم الانتخاب، والمُعطيات التاريخيّة، تستطيع وسائل الإعلام أحيانًا أن «تتنبأ» بالفائز في انتخابٍ ما، قبل إقفال صناديق الاقتراع. وبوجود جميع الإحصائيّات في متناولِ أهل الإعلام، ليس من أمرٍ استثنائيٍّ جدًّا في «تسمية» الفائز قبل الأوان، ومع ذلك فإنّهم يخطئون في بعض الأحيان أيضًا!

ولكنْ حاول أن تسأل أيَّ مراسل صحافيّ تحديد المرشّحين الذين سوف يخوضون الانتخابات بعد عشرين أو خمسين سنة من الآن. واسأله مَن سيفوز، ثمّ اسأله عن تفاصيل متعلّقة بالأمكنة التي سيولد فيها الفائزون، وبأنماط حياتهم المستقبلية، وكذلك أيضًا بالظروف التي

ستحيط بوَفَياتهم. بل تعدَّ ذلك واسأل المراسل الصحافيّ عن معلومات موثوقة بشأن ما سوف يحصل في الشرق الأوسط بعد ألف سنة من الآن. واطلبْ إليه أيضًا أن يسمّي المدن التي سوف تُباد في أثناء تلك المدّة الزمنيّة الطويلة.

لا شكَّ أنّك توافق على أنَّه كلَّما طلبت من ذلك المراسل تنبُّؤات إضافيّة تزايدت جدًّا المعوِّقات الهائلة التي تحول دون كونه دقيقًا في نبوءته. ذلك هو واقع الحال طبعًا، إلاّ إذا كان الإله السرمديُّ يطلعه على أمور المستقبل. في تلك الحالة فقط نتوقّع من المراسل أنْ يعرف النهاية منذ البداية. غير أنّ الكتاب المقدّس ينطوي على تنبّؤات بمثل هذه الحوادث التي اقترحناها على مراسلنا الصحافيّ، فضلاً عن كثيرٍ من التفاصيل الأكثر دقّةً بعد، وشمولاً لمدّة زمانيّة أطول أيضًا.

فإنّ تاريخ مدينة صور القديمة مثلاً إتمام لا يُصدّق لِما تنبّأ الله بأنّه سيحصل لهذه المدينة.

وإذا شئتَ فاقرأ أوّلاً النبوّات المدوّنة في الأصحاح السادس والعشرين من سفر حزقيال، الآيات ٣ – ١٢، ثمَّ توجّه إلى كتب التاريخ والموسوعات. فَستَلقى نفسك قارئًا القصّة عينها هنا وهناك، أوّلاً على صورة نبوءة، وثانيًا على صورة تاريخ.

■ **النبوءة**: قبل حدوث الأحداث بزمان طويل، تنبّأ الله بمستقبل مضطرب لمدينة صور. إذ قال:

هأنذا... أُصعد عليك أممًا كثيرة... فيخربون أسوار صور ويهدمون أبراجها. كذلك أنبئ أيضًا بأن الموقع الذي بُنيت عليه هذه المدينة

الشهيرة سوف يُسحى ترابه عنه حتّى تصير **ضحَّ الصخر**. بل أكثر من ذلك، فقد أنبئ بما سيحصل لصور مفصّلاً: ... **يضعون حجارتك وخشبك وترابك في وسط المياه**. إلاّ أنّ التفاصيل التي تَصدُقُ في هذه النبوءات لا تنتهي هنا. إذ قال الله عن صور القديمة: ...**تكونين مبسطًا للشباك (حزقيال ٢٦: ٣ و٤ و١٢ و١٤)**.

■ **التاريخ**: عندما تقرأ الوثائق التاريخية، يتبيّن لك أنّه لمّا دمَّر نبوخذنصّر مدينة صور القديمة (البريّة) هدم الأسوار والأبراج فعلاً، بحسب النبوءة تمامًا، وفي ما بعد عمد مهندسو الاسكندر الكبير فعلاً إلى كشط تراب مدينة صور القديمة، فجعلوها بالفعل كصخرةٍ جرداء (ضحَّ الصخر).

ولمّا طرحوا ركام المدينة في البحر لإنشاء معبر إلى الجزيرة، حصل ذلك كما سبق الإنباءُ به تمامًا. فإنّ حجارة المدينة وخشبها وترابها طُرِحت بالفعل في وسط المياه. نعم، ما زالت خرائب صور القديمة مدفونةً حتّى اليوم تحت مياه البحر. فقد قال الله إنَّ ذلك سيحدث، ولقد حدث.

ولئن كان في الشرق الأوسط اليوم مدينةٌ شهيرة إسمها صور، فهي ليست مدينة صور القديمة التي دُمِّرت أخيرًا سنة ١٢٩١.

وإذا قُدِّرَ لك أن تزور موقع صور القديمة، تسنَّى لك أن تشهد إتمامًا لهذه النبوّات أكثر عجبًا وإدهاشًا بعد. فهناك يمكنك أن ترى قليلاً من أكواخ صيّادي السمك المتجمِّعة في بلدةٍ صغيرة، حيث تلمح قوارب الصيد منطلقة إلى عرض البحر، وشباك الصيد مبسوطة لتجفَّ على ضحِّ الصخر! فكيف يُعقل أن تقوى الحكمة البشريّة على التنبُّؤ بهذا المصير المستبعَد لمدينة تجاريّة مزدهرة مثل صور القديمة؟

وقد قارن «بيتر سْتونر» سبع نبوءات عن صور القديمة بالوقائع التاريخيّة. وبعد حساب الاحتمال الرياضيّ لتحقُّق نبوّات حزقيال، قال: «لو نظر حزقيال إلى صور في أيّامه، ونطق بهذه النبوءات السبع بحسب الحكمة البشريّة، لكان معنى هذه التقديرات وجود فرصة واحدة من خمسة وسبعين مليون لتحقُّقها. ولكنّها كلَّها تمّت بأدقِّ تفاصيلها.»

والآن لننظرْ في واحدة فقط من النبوءات المتعلّقة بولادة طفل.

فإنّ متّى، وهو موظّف حكوميٌّ متقاعد، استذكر أربعًا من النبوءات الرائعة العديدة التي تمّت عند ولادة يسوع. وفي إحداهنَّ، أشار متّى إلى النبيّ ميخا، الذي أطلق صوته المدوّي مندّدًا بحكّام عصره الزائفين. فقد انفطر قلب ميخا لأنَّ أُمَّتَهُ، في الزمان الذي عاش فيه، افتقرت إلى سلطة قياديّة أصيلة. غير أنّه رأى مستقبلاً أزهى، إذ أراه الله أنّه ذات يوم سيولد «متسلّط» (حاكم) فذ. حتّى إنَّه عيّن بمنتهى الدقَّة مسقط رأس القائد الآتي:

أمّا أنت، يا بيت لحم افراتة، وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلّطًا على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيّام الأزل (ميخا ٥: ٢).

فقد أعلن الله أنّ «الحاكم» المطلوب للأمَّة سوف يولد في بيت لحم أفراتة.

وكما تنبأ ميخا تمامًا، ولد يسوع، ليس في الناصرة بلدة أسرته، بل في بيت لحم أفراتة؛ ولقد وُلِدَ هناك بسبب مرسوم الإمبراطورية الرومانيّ. إذ كان زمن الإحصاء وأبواه كانا يطيعان مرسومًا إمبراطوريًا.

وعليه، فقد غادرا موطنهما منطلقين إلى بيت لحم. وبالتأكيد، ما كان أحدٌ يتوقّع طلوع «الرئيس» من بيت لحم الصغيرة التي لم تكن سوى واحدة من عدّة بلدات في اليهوديّة. فإنّ معوّقات ولادة السيّد هناك لا تُصدَّق. ومع ذلك فقد حصلت تمامًا كما تنبأ ميخا. وليست هذه إلاّ واحدة فقط بين مئات النبوّات المذهلة هكذا عن حياة الربّ يسوع.

وهناك ما نقرأه، بلسان الله:

أنا الله... مُخبرٌ منذ البدء بالأخير، ومنذ القديم بما لم يُفعَل، قائلاً: رأيي يقوم، وأفعل كلَّ مسرّتي (إشعياء ٤٦: ١٠). بالأوليات منذ زمان أخبرت، ومن فمي خرجتَ وأنبأتُ بها. بغتةً صنعتُها فاتت (حصلت)... أخبرتك منذ زمان، قبلما أتت أنبأتك (إشعياء ٤٨ : ٣، ٥).

ولقد أثبت التاريخ أنَّ لهذه النبوّات التي أعطاها الله، ودوَّنت في الكتاب المقدّس، نسبة دقّة تبلغ ١٠٠٪.

فعاليّة الكتاب القويّة

دليلٌ دافعٌ ثانٍ على أنَّ الكتاب المقدّس هو كلمة الله نجده في التأثير الذي ما زال يُحدِثه. فمن النواحي الاجتماعيّة والحضاريّة والفرديّة، أضفى الكتاب المقدّس على الجنس البشري كرامةً وشرفًا في أيِّ زمان ومكان فيهما تعلّمه الناس وآمنوا به.

قُبيل دفع أوّل نسخة منقّحة من هذا الكتاب إلى الطّبع، زارنا في بيتنا صديق جديد، وتصفّحنا مخطوطة الكتاب معًا. ومع أنّ ليس من عادته

إبداء عواطفه، اغرورقت عيناه ونحن نقرأ الفصل السابع. وتوقّفنا مرّتين لنحني رأسينا في الصلاة ونرفع التسبيح والحمد إلى الإله الذي كنّا نقرأ عن محبّته. وقد شكرْنا الربَّ كلانا على صبره ورحمته، وعلى كلِّ أمارة من أمارات محبّته في حياتنا، رغم عدم استحقاقنا. وإذ لمسْنا حضورَ الإله الحيّ، النابِض بالحياة والإنعاش، غمر الفرح قلبينا.

وقد كان ذلك اليوم ذا أهميّة خاصّة في نظر صديقي. فقبل سنة تمامًا من ذلك الحين، كان يقبع وحده في شقّة فخمة كانت نقيضًا كاملاً للمسكن المتواضع الذي تقابلنا فيه.

ولكنَّ البهاء الذي كان يحيط به آنذاك لم يؤته أيَّ سرور. بل إنّه في الواقع كان يعاني من اليأس الداخليّ ما أعدمه أيّة رغبة حقيقيّة في الحياة. وفي بحثه عن السعادة الشخصيّة، انغمس في كلِّ نزوة حيوانيّة أوحت بها رجولتُه. وتمكّنت منه عادة تعاطي الكوكايين، فكلّفته ثروة. وغدت المنشِّطات والمثبِّطات، والبراندي والوسكي، كلُّها جزءًا من روتينه اليوميّ. وكان قد قضى سنين، في أوروبا وحول العالم، يحضر الحفلات مع أغنى أغنياء العالم. إلاّ أنّه تلك الليلة كان وحيدًا. وفي وحدته، تعمَّقت كآبته المتأثِّرة بذكرياته من جرّاء ما عدَّه وضعًا عالميًّا خطِرًا ومخيفًا، وبدا له أن ليس من سبيل للخروج.

فبعزمٍ كئيب رهيب، ألقم بندقيّته ذات الماسورتين، وصوّبها إلى صدغه، وصَلَى ديكها، مفكرًا برأسه: «نصف سنتيمتر فقط يبعدني عن عالم النسيان، ومن ثمّ تنتهي معاناتي إلى الأبد.» في تلك اللحظة (وصديقي لا يدري كيف حصل الأمر) تغيّر برنامج التلفزيون. وإذا به

يلفي نفسه مصغيًا إلى رسالة من الكتاب المقدّس تبشّر بمستقبل حافل بالرجاء. وقبيل منتصف الليل منفردًا وحده، خرَّ جاثيًا على الأرض أمام الله الحي يطلب الغفران والرحمة.

فبفضل قدرة الله التي أجرت تغييرًا جذريًا جدًا في حياة صديقي، قلّما كان الرجل الجالس قبالتي يشبه ذاك الذي وصفته بإيجاز. كان والداه قبل مولده، قد صليا لأجله؛ ومع أنّه في صباه درس الكتاب المقدّس، فقد أبى أن يأخذ رسالته على المحمل الجدّي. وفي عالمه الحافل بالبحبوحة و اليُسر، تمرّد على الله وانغمس في فجورٍ خلقيٍّ رهيب.

وكان صديقي، قبل سبع عشرة سنة من تلك الليلة التي لا تُنسى والتي فيها اهتدى إلى الله أخيرًا، قد اشترى نُسخة جميلة من الكتاب المقدّس مجلّدة بالجلد الطبيعي، وفيها بضع صفحات بيضاء، فعقد العزم على تدوين كل حادثة مهمّة في حياته من ذلك اليوم فصاعدًا. ولكن طوال تلك السنين السبع عشرة التي طواها في عيشة الإسراف والخلاعة لم يستحقَّ أيُّ حدث أن يُدَوَّن على تلك الصفحات.

فالواقع أنه طيلة تلك السنين، إذ أدار صديقي ظهره لله الحيّ، سافر سفرةً «روحيّة» مزيّفة، غريبة وغير مُشبعة. وقد بدأت باهتمام شغوف بكشوفِ الطالع اليومية، وولع زائد بموسيقى الروك وحفلات الروك. وسرعان ما تورّط في الممارسات الأرواحيّة والسحريّة. وفيما بعد أدّى به شغفه باليوغا إلى دراسةٍ جديّة للفلسفة الهندوسيّة، وإلى الانخراط أخيرًا في مذهب التصوّف الشرقيّ الباطنيّ. ولكن لا شيء ممّا اختبره في أثناءِ تلك السنين استحق أن يُذكر على الصفحات البيض من كتابه

المجلّد بالجلد البُنّيّ، فظلّت بيضاء يُغشيها وجعُ الخِواء، إلى أن كانت تلك الليلة الناصعة التي فيها تعرّف بالله.

تلك الليلة دوّن صديقي مذكرته الأولى. وكان لي فرح قراءة ما كتبه. فهو خبر روحيّ مقدّس من رجلٍ محتاج خلّصه إله محب. وما أجمله من خبر! فبرحمة عظيمة، اخترقَ الله عماه الروحيّ وأنقذه من اليأس والموت بنور حقّه غير المتغيّر وبمحبته المُذهلة.

إنّه بسبب اضطراب الإنسان الروحيّ، على غرار عمى صديقي، أعلن الله ذاته في كتابٍ اسمه الكتاب المقدّس. فإنْ تحولّتَ عن الكتاب المقدّس وهو الدليل الروحيّ الموثوق الوحيد، تحبس نفسك في سجن الوهم والضلال. ولكن إن كنتَ في بحثك عن الله، تتحوّل إلى الكتاب المقدّس بذهنٍ متقبّلٍ للتعلّم، تجده مُتضمّنًا لكلِّ ما تحتاج إليه من نورٍ وتوجيه روحيين.

فبواسطة كلمة الله فقط نستطيع أن نكتسب فهمًا جليًّا لله كما أعلن ذاته. إذ أننا في هذا الكتاب الجليل، (نُعرّف بالحقِّ نفسه، كلمة الله المتجسّد الحيّ، نور العالم.)

يا ربُّ، كلمتك ثابتة،
ولخطواتنا هادية؛
فمَن آمن بحقها
نال النور والسرور!

وقفة تأمُّـــل

١ هل من مخطوطات أو «كتابات مقدّسة» أخرى يمكن أن تقارن بالكتاب المقدّس من حيث دقتها وصحتها في التنبّؤ بحوادث المستقبل؟

٢ أتعرف شخصيًّا أُناسًا تغيّرتْ حياتهم لأنّهم قبِلوا رسالة الكتاب المقدّس وعملوا بها؟

٣ هل قلّلت مرة من شأن تعاليم الكتاب المقدّس الفريدة فيما أهملت في الوقت عينه قراءته بذهنٍ منفتح؟

لئن واجهتْنا معًا مسائلُ السماء والأرض دفعةً واحدة، فلن تكون شيئًا يُذكر إذا قورنت بمسألة الله المُربِكة: أنّه موجود، وما حقيقته، وماذا ينبغي لنا نحن الكائناتِ العاقلة أن نفعل حياله.

– أ. و. تُوزِر –

ما حقيقة الله؟

في وقتٍ ما من الحياة، يسأل معظم الناس: «ما حقيقة الله؟» ومع أنَّ الله قد زوّدنا بجوابٍ عن هذا السؤال، فما يزال ثمّة مَن يؤثِرون أن يركنوا إلى تخيُّلاتهم وتخميناتهم، بدل أن يقرأوا في الكتاب المقدّس ما يقوله الله عن ذاته.

وفي الواقع أن هـؤلاء الناس يعكسون عبارة مهمَّة من عبارات الكتاب. فبينما قال الله: **نعمل الإنسان على صورتنا (تكوين ١: ٢٦)**، يقولون: «لنعملِ الله على صورتنا» وهكذا **استبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبهِ صورة الإنسان الذي يفنى (رومية ١: ٢٣)**. وكلَّ «إله» تصوَّره الإنسان كانَ عاجزًا كلِّيًا، بل مسخًا في بعض الأحيان.

ومهما كان المرء ذكيًّا، فهو لا يقدر البتّة أن يكتشف الإله الحيّ بالحكمة العالميّة. فـإنّ العالم... **لم يعرف الله بالحكمة (١كورنثوس ١: ٢١)**. ولو كان ممكنًا اكتشاف الله عن طريق الذكاء البشري، لكان أصغر من أن يكون إلهًا. ليس ذلك فقط، بل أيضًا لو كانت الفطنة البشريّة ضروريّة لاكتشاف الله لكان أولئك الذين لا يملكون قدرًا وافيًا من الذكاء محرومين في بحثهم عن الله. ولكنْ ليس هذا واقع الحال.

فعلى نقيض ذلك، نجد الحكمة الروحيّة متاحة للجميع. فهي

متوافرة لعجوز إفريقيّة أُمِّيَّة كما لأستاذ جامعيّ على السواء. وذلك لأن الحكمة الروحيّة لا تُكتسَب بالتحصيل الأكاديميّ، بل هي موفورة لجميع الذين لهم من التواضع ما يكفي لجعلهم يدركون احتياجهم إلى معونة الله في بحثهم عنه.

وإنّما إن كان أحدكم تعوزه حكمة، فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء (يعقوب ١: ٥). هذه الحكمة ليست دنيويّة، بل سماويّة. إنّها حكمة لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر (أي الرؤساء الذين يعملون بنظام هذا العالم) ولا تستلهم **روح العالم، بل الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله (١ كورنثوس ٢: ٨، ١٢)**.

وليس الكتاب المقدّس مجرَّد أُطروحة دينيّة، بل هو بالدرجة الأولى سجلٌ يبيّن كيف أعلن الله ذاته للإنسان. فالله وحده يقدر أن يعطيك الحكمة الروحيّة التي تحتاج إليها لتفهم مَن هو وماذا يريد أن يعمل في حياتك.

فإذا طلبتَ منه فحسْب، فلا بدَّ أن يُظهِر ذاته لك من خلال كلمته المقدّسة.

وفي أثناء سفراتنا، وجدنا اهتمامات وإستنارات روحيّة عميقة في أماكن قد يعتبرها بعضهم غير عاديّة وبين أناس غير مرجَّحين. فمثلاً، التقينا ذات يوم مجموعة من الفتيان الأفارقة في أدغال كينيا بدا عليهم أنّهم مهتمّون فقط بإطْلاع الآخرين على إيمانهم وتعلُّم المزيد عن أمور الله.

كانت الشمس الاستوائيّة قد انزلقت بسرعة تحت الأفُق، منهيةً نهار عمل طويلاً. وإذ قعدتُ على صخرة قرب زقاق كينيّ مغبَّر لأستريح

قليلاً، سمعت حسًّا في الدغل ورائي. والتفتُّ فرأيت شعاعًا واهيًّا من البدر، وقد انعكس في عيني صبيٍّ إفريقيٍّ سوداوين كبيرتين. ثمَّ ما لبث هذا الصبيُّ ابنُ العشر أن قعد القرفصاء على الصخرة بجانبي. وسرعان ما صرنا صديقين طيّبين. وقد سَمِع صبية آخرون صوتَينا، فجاؤوا من لا مكانٍ على ما يبدو ليسمعوا ما كنّا نتحدّث به. وقد خلَّفت معرفتهم للكتاب المقدّس لديَّ انطباعًا عظيمًا.

سألني صديقي الصغير: «لماذا لم يسمح الله لموسى برؤية وجهه؟» وإذ أسَرَ هذا السؤال انتباهي، جاوبتُ بأن سألت «يوئيل» الصغير هل يتذكَّر الطلبة التي طلبها موسى قبلما قال له الله: **تنظر ورائي، وأمّا وجهي فلا يُرى (خروج ٣٣: ٢٣)**.

فلم يتذكّر، فأردفْت: لاذُكّرْك أنا إذًا. لقد صلَّى موسى قائلاً: **أرِني مجدك! (خروج ٣٣: ١٨)**. بعبارة أخرى، طلب موسى إلى الله أن يريه هيئته فعلاً. غير أنَّ الله كان عليمًا بأنَّ هذه الطلبة تطرح معضلة، لأنّ مجد الله أسمى بكثير جدًا من أيِّ شيء يستطيع موسى أن يتصوَّره أو يدركه. فمجد الله البهيُّ وقداسته ونوره ملتهِمةٌ أي آكلة جدًا حتّى إنَّ الله نبّه قائلاً: **الإنسان لا يراني ويعيش (خروج ٣٣: ٢٠)**.

فإنّ موسى ما عرف تمامًا كم تكون رؤية مجد الله ساحقة. ولكنْ لأنَّ الله إلهٌ مُعلِن لذاته يريد أن يجتذب الإنسان إليه، فقد أظهر من ذاته لموسى بمقدار ما يقدر النبيُّ أن يحتمل. ولو أظهر الله لموسى مزيدًا من ذاته، لكان موسى فني كليًّا من بهاء الحضرة الإلهيّة. ومع أنَّ الله خبّأ ملء

مجده عن موسى، فلمّا اجتاز في المكان الذي كان فيه موسى كان ينبغي أن يُواريَه في **نُقرةٍ من الصخرة (خروج ٣٣: ٢٢)**.

وبما أنَّ أصدقائي الصغار كانوا يعيشون عند خطِّ الاستواء، فقد كانوا يعرفون أنّهم لا يستطيعون أن يحدِّقوا إلى نور شمس الظهيرة الباهر بغير أن يظلِّلوا أعيُنهم. كذلك أيضًا كانوا يعلمون أنَّ البشّارات يجتذبها النور في الليل المظلم. فلمّا سألتهم عمّا يحصل إذا اقتربت البشّارات كثيرًا إلى مصدر النور، كان جوابُهم كلِّهم واحدًا: «إنّها تموت!».

وهكذا كان واضحًا أنَّهم يعون مخاطر التعرُّض المفرط للنّور.

وحاولتُ التفكير بإيضاح آخر يمكن أن يساعدهم على فهم الجواب عن سؤالهم. وكان جميع أصدقائي الصغار يعرفون أربطة الأقمطة التي كان إخوتهم وأخواتهم الصغار يُحزمون بها بلصق قلوب أُمهاتهم حيث الأمان والحنان. فحدَّثتهم عن «القماط» الذي لفّه الله حول الأرض (أيوب ٣٨: ٩).

(ذلك «القماط» يدعوه العلماء طبقة الأوزون. وهذه العباءة الرقيقة من الأُكسجين التآصُليّ تُصَفّي نور الشمس من الأشعة الفوق بنفسجيّة. فلولا الشمس طبعًا ما كان على كوكب الأرض حياة، ولكنّ عناية الله الحانية قد ظلّلتنا من تلقّي جرعة مفرطة من طاقة الشمس ومفعولها المُسَرطِن).

وبدا أصدقائي الصغار مهتمِّين اهتمامًا خاصًا بالقماط الذي نشره الله فيما حاولتُ أن أشرح لهم بلغّة بسيطة أنّه يحمينا جميعًا من الحروق الرهيبة. ولستُ أدري هل فهموا كلَّ ما قلت، إلاّ أنَّ قلوبهم الصغيرة

تجاوبت برقّة مع محبّة الله ومجده، ثم قضينا وقتًا طيّبًا في الصلاة معًا. وقد بدا واضِحًا أنّهم عرفوا معرفةً شخصيّة أنّهم هم أيضًا نعموا بالحماية نفسها التي أعطيَها موسى في نشدانه الله. وفي أساس فهمنا لحقيقة الله ما يقوله لنا الكتاب المقدّس **الربُّ إلهنا ربٌّ واحد (تثنية ٦: ٤)**. فإنَّ وحدانيّة شخص الله حقٌّ أساسيٌّ.

ولكنْ حتّى يعطينا الله فهمًا أوفى لحقيقته، أطلعنا أيضًا على أسمائه.

وتُعتبر الأسماء في الكتاب المقدّس دائمًا ذات أهميّة، لأنّ المقصود بمعناها أن يُظهر نواحي معيّنة من خُلق المُسمَّى. فلكلِّ إسم يُستخدم بالإشارة إلى الله معنًى خاصٌ جدًّا، وهو يُظهر لمحة فريدة من ملامح شخصه الإلهيّ.

تُستخدم في العهد القديم ثلاثة أسماء أساسيّة لله: يهوه، إيلوهيم، وأدوناي. ولكلٍّ منها دلالة خاصّة. فإيلوهيم هو أوّل إسم استُخدِم، وهو مذكورٌ كثيرًا، فوق ألفي مرّة. ومع أنَّ الإسم «يهوه» يُعدُّ الأسمى، فمن الجليّ أيضًا أنَّ للإسم «إيلوهيم» أهميّة وشأنًا لا يريد لنا الله أن نفوتهما. فما عسى أن يكون ذلك؟

معلومٌ أنّه في اللغة حين نتحدّث بصيغة المفرد نتكلّم عن واحد، وحين نتحدّث بصيغة الجمع نتكلّم عن أكثر من اثنين. ومع أنَّ المُثنّى في أغلب اللغات يُعدُّ جمعًا، فاللغة العبريّة – شأنُها شأن العربيّة – أكثر تحديدًا ودقّة. ذلك أنّها تستخدم «المُثنّى» عند الإشارة إلى «اثنين» والجمع عند الإشارة إلى ثلاثةٍ فما فوق. وعليه، فالتمييز بين المُثنّى والجمع (أي بين «اثنين» و«ثلاثة أو أكثر») مهمٌ جدًّا. وإيلوهيم هو أوّل

إسم في الكتاب المقدّس يُستعمل بالإشارة إلى الله. وفي العبريّة، إيلوهيم – دلالةً على الله الخالق – ليس مفردًا ولا مثنّى بل في صيغة الجمع.

في البدء خلق الله (إيلوهيم) السماوات والأرض (تكوين ١ : ١). وهكذا نجد، في أوّل آية بالذات في الكتاب المقدّس، وهو إعلان الله عن ذاته للإنسان، إفصاحًا عن مفهوم لهويّة الله باعتباره ثلاثةً في واحد وواحدًا في ثلاثة. هذه الوحدة الثلاثيّة تُدعى أحيانًا الثالوث.

وبعد الإشارة الأولى إلى وحدة الله الثالوثيّة، نصل إلى خبر خلق الله للإنسان. **وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا (تكوين ١: ٢٦)**.×

فلا أحد يفوته أن ينتبه إلى صيغة الجمع في قوله «نعمل» و«صورتنا». ولكنّ المذهل أنّنا في الآية التالية بالذات نقرأ: **ذكرًا وأنثى خلقهم (تكوين ١: ٢٧)**. فهنا لا يمكن أن يكون الفاعل في «خلقهم» سوى شخص واحد. وعليه، فكلٌّ من هذه الإشارات إلى الله على أنّه «واحد» و«أكثر من واحد» هي إلى الإله الذي عرّف نفسه بأنّه «إيلوهيم».

إنَّ إلهًا هذا وصفُه هو تمامًا خارجَ نطاق قدرة الحكمة الدنيويّة على الإدراك. وعليه، فلكي يساعدنا الله على الفهم، أنعم علينا بأن أعطانا **الروح الذي من الله، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله (١كورنثوس ٢: ١٢)**.

× من المهم أن نلاحظ أنّ خلق النساء والرجال لا يمكن أبدًا أن يُساوى بخلق المملكة النباتيّة، ولا حتّى بأرقى نوع من النموّ التكوينيّ في المملكة الحيوانيّة. ذلك أنَّ الرجل والمرأة خُلقا «على صورة الله»، ولذلك فالإنسان مخلوق فريد، على قمَّة جميع أفعال خَلق الله العجيبة. وفي ما بعد، في هذا الكتاب، سوف تؤكّد لك هذه الفرادة مَن أنتَ بالحقيقة.

إنطلاقًا من هذه التصريحات الأوّليّة بشأن هويّة الله، يكشف الكتاب المقدّس بالتدريج وحدته الثالوثيّة العجيبة. فأن تعيَ شخصيّة الثلاثة في الواحد والواحد في الثلاثة، هذه المتعلّقة بكينونة الله، أمرٌ من شأنه أن يساعدك على أن تقدِّر تقديرًا أوفى محبته المذهلة لك فيما تقرأ الفصل السابع.

وحتى يعيننا الله على إدراك شيء عن عظمة محبّته، أعلن نفسه تدريجيًّا خلال باقي الكتاب المقدّس. فهنالك نُعرَّف بالله الآب، والله الإبن، والله الروح القدس. ومع ذلك فهو يعلن نفسه على أنّه إله واحد فقط كلَّ حين. ولا تستطيع عقولنا البشريّة أن تستوعب إلاَّ حواشيَ مفهوم كهذا. وعليه، فبما أنّه كان مستحيلاً على الإنسان أن يرتقي حتّى يكتشفَ الإله الحقيقي والحيّ، فقد قام هو نفسه بالمبادرة وعرَّف الإنسان نفسه.

لقد كان الإعلان الكامل لمجد الله وقداسته مخبوءًا عن عينَي موسى. ولكنْ في شخص الله الإبن، أعلن إيلوهيم من ذاته للإنسان بمقدار ما يمكن للإنسان أن يحتمل.

وعلى ذلك، ففي كتاب العهد الجديد نقرأ:

لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح (٢كورنثوس ٤:٦).

فما عليك إلا أن تفكّر في هذا: لمّا حدّق يوحنّا إلى وجه المسيح، صرّح قائلاً: **رأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب (يوحنا ١: ١٤).**

وقد كتب يوحنّا في ما بعد عن هذا الأمر، أي مقابلته الشخصيّة لله، وفقط لأنّه التقى إيلوهيم في شخص يسوع عاشَ ليبلّغ الخبر! ومع ذلك،

فقد أوضح بكلِّ جلاء أنَّ مقابلته كانت بالحقيقة للإله السرمديّ، إله الخَلق، إله موسى.

وعلى كون هذا اللقاء الشخصيّ بين يوحنا وإلهه الخالق لقاءً مذهلاً فقد كان مسموعًا ومرئيًّا وملموسًا:

الذي كان من البدء، الذي سمعناه (مقابلته المسموعة)، **الذي رأيناه بعيوننا** (مقابلته المرئيّة)... **ولمسته أيدينا** (مقابلته الملموسة) (**١يوحنا ١: ١**).

لا، ليس السجلُّ الذي نقرأه في رسالة يوحنّا الأولى مدوّنة بحث لاهوتيّ ولا شخصيّ منعزل. فهو نابع من مقابلته الشخصيّة للإله الحيّ.

ولعلّك تسأل: «كيف يساعدني هذا كلُّه اليوم؟»

يسارع يوحنّا إلى الإجابة عن هذا السؤال: **نكتب إليكم هذا، لكي يكون فرحكم كاملاً** (**١يوحنا ١: ٤**).

وبالمثل، فهذا الكتاب الذي تقرأه الآن وصل إلى يدك لأنّ صديقًا يتوق لأن يكون لك أنت أيضًا ملءُ الفرح إذ تُقابِل الإله الحيّ.

ويشرح يوحنّا قائلاً:

الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكي يكون لكم أيضًا شركة معنا. وأمّا شركتنا نحن فهي مع الآب، ومع ابنه يسوع المسيح. ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملاً (**١يوحنا ١: ٣ و٤**).

بلى، كما أنَّ النور في ليلة مظلمة جذّاب، هكذا ما يزال نور مجد الله يجتذب البشر إلى ذاته. فاليوم، في شوقك لأنْ تعرف حقيقة الله، لك أنت أيضًا أن تصلّي صلاة موسى: «أرِني مجدك!»

وقفة تـأمُّـــل

١ في بحثك عن الله، هل قرأت الكتاب المقدّس بتركيز وانتباه؟

٢ هلاّ تطلب إلى الله أن يعلن ذاته لك وأنت تقرأ الكتاب المقدّس! صلاة مقترحة: «أللهمَّ، إن كنتَ الإله الذي خلق هذا الكون والذي يحبُّني، فأرجو منك أن تُعلِن ذاتك لي، وبيّن لي هل يسوع المسيح هو ابنك المخلِّص الموعود به سابقاً!»

٣ هل تعي أنّه حتّى تتعبَّد لله حقًّا ينبغي أن يكون:
أعظم من قدرتك على اكتشافه بالبحث البشريّ، وأعظم من قدرتك على إدراكه إدراكًا كاملاً بعقلك البشريّ؟

أعتقد أنّي أُدرك الطبيعة البشريّة بعض الإدراك، وأقول لكم إنّ جميع أبطال الأجيال القديمة كانوا بشرًا، وأنا أيضًا إنسان. أمّا هو فلا مثيل له: إنَّ يسوع المسيح كان أكثر من إنسان!

– نابليون –

ماذا يُفرِّق الناسَ فعلاً؟

لطالما وُصف عالمُ اليوم بأنّه قرية عالميّة. ولكنْ لأنَّ أهل هذه القرية العالميّة جيران مُتعاقدون، فهي قد صارت مكانًا تتفاقم فيه مخاطر العيش باطِّراد.

قد يبدو في الظاهر أنَّ المشاكل التي تُفرِّق البشر تشمل طيفًا واسعًا من القضايا السياسيّة والاقتصاديّة والعائليّة، والصناعيّة أيضًا. فمع أنَّ ميادين المشاكل هذه تجعل الناس بالفعل متفرِّقين على نحو متزايد وباعث على اليأس، فإنَّ للتعادي المستشري في عالمنا سببًا أكبر بعد، وإن كان لا يكاد يُدرَك.

فلننظر أوّلاً بإيجاز في الأسباب الواضحة للانقسام بين الناس، ومن ثَمَّ نركِّز على العلّة الرئيسية.

الانقسامات البيِّنة

■ **سياسيًّا:** يواجه السياسيّون بعضهم بعضًا بتوجُّس وارتياب. حتّى إذا واجهوا وجهات نظر متضاربةً، أملوا بأنَّ من شأن القوَّة العسكريّة أن تضمن أمن بلدهم المستقبليّ.

وفي أثناء ذلك، يرفع المواطنون القَلِقون أصواتهم تأييدًا للسلام ونزع السلاح النوويّ. ولكنْ من دواعي السخرية أنَّ الذين شاهدوا منّا بعضًا من مظاهرات «السلام» المعهودة على شاشات التلفزيون قد شهدوا أيضًا أنَّ المتظاهرين أحيانًا يُبدون في تصرُّفاتهم تلك الأهواء التي تبعث على الحروب.

■ **إقتصاديًّا**: تشكّل الكوارث الطبيعيّة، كالقحط والمجاعة والزلازل، مشكلة متفاقمة ولا سيَّما في العالم الثالث. هذه الكوارث تضاعف المعاناة الناجمة عن التفاوت الاقتصاديّ الهائل بين البلدان الغنيّة والفقيرة. وعلى الرغم من المودَّة والتضحية من قِبل الكثيرين الذين يحاولون المساعدة، فالملاحَظ بكلِّ أسف أنَّه يغلب كثيرًا جدًا أن الأغنياء أغنى والفقراء أفقر.

■ **عائليًّا**: ليس سرًّا أن انهيار الزواج والعائلة قد بلغ اليوم نِسَبًا هائلة. وقد قال لي مرَّةً أفريقيٌّ اسمه «لِتْسوال» وعيناه مغرورقتان: «لقد خرب بيتي.» فظننتُ أنّه يقصد تهدُّم كوخه ذي الحيطان الأربعة، ولكن ما لبثتُ أن علمتُ أنَّ هذا التعبير عن الخراب كان أسلوب «لِتْسوال» المجازيّ في إخباري أنَّ زوجته تركته. واليوم، «تخرب» بيوتٌ كثيرة جدًا، إذ تبدِّد أنماط الحياة الأنانيّةُ علائق المحبّة. (غير أنَّ محبّة الله، كما سنرى في فصل لاحق، مُتاحة لأيِّ زوجين يرغبان في توطيد زواجهما باتّحادٍ دائم).

■ **صناعيًّا**: تعوّدنا، في مجال العمل، أن نسمع بالامتعاض والتوتّر. ففي أوائل ١٩٨٥، وُضِع حدٌ لامّرِ نزاع عمّالي في القرن العشرين شهدته بريطانيا. ومع أنَّ الإضراب ومواجهات الشارع العنيفة انتهت، فقد ظلّت الضغائن والمرارة المتخلّفة جرحًا نزّازًا في العلائق بين العمّال وأرباب العمل، وداخل النطاق الصناعيّ بالذات. وما كان أبْيَنَ اختلافَ هذا الوضع عن حصيلة التوتُّرات بين العمّال والإدارة في مناجم الفحم بمنطقة «ويلز» والتي قُمِعت بعد اضطراب عمّالٍ مماثل في ١٩٠٤! وقد أخبرني «جان بارّي» الخبر اليقين بصفته شاهد عيان.

لمّا قابلت «جان» أوّل مرّة كان عامل منجم متقاعدًا في الحادية والتسعين من العمر، أعمى تمامًا ويعاني مرضًا رئويًّا مزمنًا يُدعى «داء عمّال المناجم». وكلّما أمكن، زرته مع زوجتي في كوخه الوضيع في منطقة «ويلز» الشماليّة، حيث الكثير من أكواخ عمّال مناجم الفحم. وبضحك من القلبِ وفرحٍ نابضٍ، ابتهج «جان» بأن يروي لنا ما فعله الله في بلاد الـ«ويلز» حين تحرّك بتبكيتٍ وقوّة إبّان نهضة ١٩٠٤ و١٩٠٥. آنذاك قابل عمّال المناجم وأربـاب عملهم جميعًا الإلهَ الحيّ. وكنتيجةٍ مباشرة لذلك، نشأت بينهم ألفة وموادّة، وثقة واحترام متبادلان، فيا له من فرقٍ بين ١٩٠٥ و١٩٨٥!

وقد تحدّث «جان» بفرحٍ غامر إذ استذكر تلك الأيام. وتذكّر أنّ عشرات الخمّارات أقفلت أبوابها لانّ طلب الكحول توقّف فجأةً. كما تذكّر أيضًا نزوله مع زملائه بأنفاق المناجم وهم يُرنّمون معًا تسابيح لله. وضحك ضحكًا خافتًا إذ قال مفكرًا: «ما زال الناس يأتون إليّ

ويسألونني أين كان الانتعاش.» فإنّه كان يقرع صدره ويجيب: «إنّه في الداخل هنا، وهو الآن بالذات.»

الإنقسام الحقيقيُّ

لئن كانت هذه الانقسامات عميقة، فإنَّ هنالك ما يُفرِّق البشر بطريقة أكثر ترويعًا واستدامة، ألا وهو خطر يهدِّد حاليًا بإفساد سكينة بلدانٍ عديدة.

وقد كتب «جيم إروين» رائد الفضاء في مركبة «أبولو ١٥»: «الله ماشيًا على الأرض أهم بكثير من الإنسان ماشيًا على القمر.» فيقينًا، ما من مأثرة أنجزها الإنسان في الفضاء يمكن أن تُقارَن بمعجزة تلك اللحظة التي فيها خطا الله من عالَم الأبد إلى دنيا الزمن.

وفي أعقاب النبوءة التي تُفيد أنَّ ولدًا سيُولَد وابنًا سيُعطى، تلي «خلاصة» نبويّة أكثر تفصيلاً عن هذا الشخص الفريد: **ويُدعى اسمه عجيبًا مشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًا، رئيس السلام. لنموِّ رياسته وللسلام لا نهاية** (**إشعياء ٩: ٦ و٧**). ومن المؤكّد ان هذا المزيج المهيب من القوّة والعزم يكون مرغوبًا إذا شاء المرء أن يصير حاكمًا للعالم ناجحًا. حتّى إنّنا، في عالم اليوم، نبحث عن قادة لا يحوزون فقط معرفة القيام بالصواب، بل يملكون أيضًا القوّة للقيام به. فربّما عرف بعضُ القادة أيُّ فعلٍ كان ينبغي القيام به، ولكنْ ما من قائدٍ في التاريخ على الإطلاق حاز من القوَّة والحكمة ما أتاح له أن يُحدِث حالة سلام دائم.

ولكنَّ لرئيسِ السلام المعرفة والقدرة كلتيهما لإحلال السلام الدائم في هذا العالم. فذات يومٍ سيرجع المسيح ليملك على كوكب الأرض. وحين يبزغ فجر ذلك اليوم، يُقفَل كلُّ مصنع سلاح، ويُنزَع فتيلُ كلِّ قنبلة نوويّة لم تُفجَّر، ويُسرَّح كلُّ جنديٍّ وحارس حدود إلى الأبد!

لقد سبق أن أثبت الإنسان إلى أيِّ مدًى موئس هو غيرُ أهل لأنْ يحكم الجنس البشريّ. فلا بدَّ للسلام والعدل للجميع من أنْ ينتظرا حتّى اللحظة التي فيها يحمل رئيس السلام نفسُه صولجان حُكم الإمبراطوريّة العالميّة! **عندئذٍ سوف يطبعون سيوفهم سِكَكًا ورماحَهم مناجل، لا ترفع أُمَّة على أُمّة سيفًا، ولا يتعلَّمون الحرب في ما بعد (إشعياء ٢: ٤)**. وفي عهد السلام ذاك، **فإنَّ الأرض تمتلئ من معرفة مجد الربّ كما تُغطّي المياهُ البحر (حبقّوق ٢: ١٤)**. ولا يُعقَل أن يشهد التاريخ أيَّة خاتمة أخرى من شأنها أن تُرضي الإله السرمديّ.

ولكنْ قبل حلول يوم السلام الشامل ذاك تحت رئاسة الربِّ يسوع، سوف يتبدّى بوضوح الإنقسامُ العميق والحقيقيُّ بين البشر. ولسوف يتركَّز النزاع الآتي حوَل شخص يسوع المسيح.

من هنا كان مهمًّا أنْ تتيقَّن حقًّا مَنْ هو يسوع، ولماذا جاء، وماذا فعل لأجلك لمّا كان هنا.

إنَّ سفر التكوين وإنجيل يوحنّا كليهما يبدأان على نحوٍ متشابه. ففي التكوين نقرأ: **في البدء خلق الله السماوات والأرض (تكوين ١: ١)**. وفي يوحنّا نقرأ: **في البدء كان الكلمة... وكان الكلمة الله... كلُّ شيءٍ به كان (يوحنّا ١: ١ و٣)**.

إنَّ الله، المدعوَّ «إيلوهيم» في سفر التكوين، يُشار إليه على أنَّه «الكلمة» في إنجيل يوحنّا. فإيلوهيم هو الكلمة، وقد اكتسى لحمًا كي يمشي بين خلائقه. إذِ «الكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا.» وهاك هذا التصريح الجليل كما تقرأه في سياقه:

في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كلُّ شيء به كان؛ وبغيره لم يكن شيءٌ ممّا كان ... كان في العالم، وكُوّن العالم به، ولم يعرفه العالم. إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. وأمّا كلُّ الذين قبلوه، أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أيِّ المؤمنون باسمه... والكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا (ورأينا مجده مجدًا كما لوحيدٍ من الآب) مملوءًا نعمةً وحقًّا... (**يوحنّا ١: ١-٣، ١٠-١٢، ١٤**).

ومثلَ موسى قبل قرون كثيرة سابقة، وجميعَ الناس في كلِّ زمان، رغب التلميذ فيلبُّس أيضًا لائن يعرف حقيقة الله.

فإنَّ فيلبُّس طلب من المسيح طلبًا خاصًّا إذ قال: **يا سيّد أرِنا الآب** (**يوحنّا ١٤: ٨**). والمدهش تمامًا أنَّ المسيح أجابه: **الذي رآني فقد رأى الآب** (**يوحنّا ١٤: ٩**). فهذا الجواب المذهل يجعل يسوع يبدو أشبه بأبله أو مُضلِّل، إلاّ إذا كان هو الله نفسه. وما كان أحد ليتَّهمه بأيٍّ من الاوَّلين. ولو لم يكن هو الله، لكان أكبر محتال عرفه التاريخ على الإطلاق. لذا ينبغي لنا أن نقرَّ بأنّنا حين ننظر إلى يسوع نرى الله.

وإنّما عند هذه النقطة بالذات، إعلان يسوع هويَّته، يبدأ الناس يتفرَّقون. فبمعنًى ما، لا يُفاجئُنا أنّه لمَا قال المسيح، **أنا والآب واحد** (**يوحنا ١٠: ٣٠**) وجد فيه بعضٌ الجواب عن التماسهم لله. غير أنَّ آخرين

ممَّن لم يستطيعوا أن يتصوّروا احتمال اتّضاع الله بهذه الطريقة العجيبة بادلوا المسيح بالعداء. فإنَّ الربَّ يسوع اجتذب بعضًا، ولكنَّه نفَّر آخرين. ورغم وجود أولئك الذين اتَّبعوه، وُجد أيضًا آخرون تآمروا لقتله.

حتَّى إنَّ يسوع، في أثناء حياته على الأرض، قسم الناس. فقد قال بصريح العبارة: مَن **ليس معي، فهو عليّ (متَّى ١٢: ٣٠)**.

ولكنْ ليس من الضروريِّ أن تكون ردَّة الفعل الأولى هي الاستجابة الدائمة.

فلنتأمَّل رجُلاً واحدًا تحوَّل من أن يكون عدوًّا ليسوع ليكون تابعًا له. ذلك أنَّ شاول الطرسوسيّ، إذ كان في أيّامه الأولى حاخامًا يهوديًّا، أضمر لأتْباع المسيح أشدّ البغضاء حتّى اضطهدهم وأيَّد قتلهم. غير أنّه، بعد اهتدائه، قضى سني عمره الباقية ممجّدًا يسوع على أنّه ربُّه ومعلِّمه. وفي النهاية كابد بفرحٍ أعظم المصاعبَ بسبب ولائه للمسيح. فما الذي أحدث الفرق؟

لما كان شاول مسافرًا إلى دمشق، أبصر «نورًا عظيمًا». وكان ذلك النور باهرًا جدًّا، حتَّى أصابه عمًى وقتيٌّ. لكنَّ شاول عرف بالحدْس أنَّه كان آنذاك في حضرة الله. وإذ استخدم شاول الكلمة اليونانيّة الموازية للكلمة «يهوه»، سأل: **مَن أنت، يا سيّد؟** فأجابه الله: **أنا يسوع الذي أنت تضطهده (أعمال ٩: ٥)**.

هذا الإعلان الإلهيُّ حوَّل شاول من كونه عدوًّا ليسوع المسيح إلى بولس رسول المسيح. ومنذ ذلك اليوم فما بعد، سلَّم نفسه كلِّيًّا للرّب يسوع المسيح. ورغم معاناته الكثيرة من أجل إيمانه، قضى باقي

حياته يُذيع البشارة بأنَّ الله قد زار كوكب الأرض. فإنَّ حقيقة يسوع المسيح في حياة بولس حوَّلته إلى أعظم مُرسَل في جميع العصور. ورسائله ناضجة بقناعته أنَّ جميع الأشياء تمَّ خلقها بيد الرب يسوع المسيح ولأجله (كولوسي ١: ١٦).

فكما رأينا، يعلن الكتاب المقدّس أنَّ يسوع الناصريَّ هو الله الإبن، وليس مجرَّد ابنٍ لله كما يعتقد شهود يهوه والمورمون وكثيرون غيرهم. وما كان أيضًا مجرّد نبيٍّ من أنبياء الله، كما يزعم بعضُهم. وفي مسعًى لتضمين التعاليم الزائفة التي تنادي بها مثلُ هذه الجماعات، يؤثِر كثيرون أن يضربوا عرض الحائط بالإعلان الذي قدَّمه الله عن ذاته. ويُعرف هذا المسعى بالحركة التوفيقيّة التي تُحدِّد بأنَّها «محاولة لتوحيد المعتقدات المتخالفة».

فالهندوس مثلاً يعترفون بيسوع بأن يُضيفوه فقط إلى رفِّهم بجانب «آلهتهم» الأخرى العديدة. إنَّما يحسن بنا أن نتذكَّر أنَّه لمَّا جابه إلهُ إيليّا، الإلـهُ الحيُّ الحقيقيُّ، أصنام بعل الوثنيّة، طرحها أرضًا على وجوهها أمامه. فعلى هذا المنوال، يجبُ أنَّ كلَّ إلهٍ من صنع البشر ومن تصوُّراتهم يسقط أمام الربِّ يسوع المسيح، لأنّه الله الابن، الواحد أزليًّا مع الآب ومع الروح القدس.

وما إن ندرك أنَّ يسوع المسيح هو الله، حتّى لا ينبغي أن نستصعب أبـدًا الإيمان بولادته من عـذراء، وبعجائبه الكثيرة، وبموته وقيامته وصعوده إلى السماء، وبعودته الوشيكة إلى الأرض في قوَّة ومجد. فلأنَّ يسوع المسيح هو الله حقًّا، مُبدِع الكون بكلِّ نواميسه وأجهزته الداعمة

للحياة، فهو يسمو على كلِّ قانونٍ أبدعه هو نفسُه لأجل مقاصده الخاصّة، مقاصد المحبّة والفداء.

فحولَ شخص يسوع الناصريّ، ينقسم العالم. ذلك أنَّ الجماعات المنفصلة المتعادية لا تتكوَّن من «الميسورين» و «المعسورين»، ولا من الأقوياء سياسيًّا والضعفاء سياسيًّا، ولا أيضًا من الأمم ذات الإيديولوجيّات المتخالفة. وإنّما الإنقسام الحقيقيُّ الموجود، والذي تسبّب لمّا زار الله الأرض، هو أساسيٌ أكثر بكثير من جميع القضايا الأخرى التي يتفرَّق البشر حولها.

هذه المقولة الحاسمة ليست تضخيمًا مسرحيًّا للوقائع مُغالًى فيه، لأنَّ الربَّ يسوع نفسه قال:

لو كان الله اباكم، لكنتم تحبُّونني؛ لأنّي خرجت من قِبَل الله وأتيت، لانّي لم آتِ من نفسي، بل ذاك أرسلني. لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنّكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي. أنتم من أبٍ هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتّالاً للناس من البدء، ولم يثبت في الحقّ، لانّه ليس فيه حقّ. متى تكلَّم بالكذب، فإنّما يتكلَّم ممّا له، لانّه كذّاب، وأبو الكذّاب (يوحنّا ٨: ٤٢-٤٤).

هل يفاجئك أن تعلم أنّه كما توجد عائلة من المؤمنين أبوها الله فكذلك أيضًا توجد عائلة من غير المؤمنين أبوها إبليس؟ فليس كلُّ إنسان ولدًا لله. فأن نكون إمّا في عائلة الله وإمّا في عائلة الشيطان لَهُو خيارٌ بين بديلين أبديَّين، بالنسبة إليك وإليَّ.

وبغضِّ النظر عن مدى إخلاصك في معتقدك عن الله، فمن الممكن أيضًا أن تكون مخطئًا «بإخلاص». فإنّها لكذبةٌ أن نقول إنّه لا يهمُّ ما

يؤمن به المرء ما دام مُخلِصًا. إذ يُمكن، على المنوال نفسه، أن تجرع السمَّ فيما تعتقد بإخلاصٍ أنّه دواء، ولكنّك مع ذلك تموت!

حقًّا إنَّ الجنس البشريّ مقسوم إلى عائلتين. فكلُّ إنسانٍ ينتمي إلى واحدة من هاتين العائلتين دون الأخرى: عائلة الله أو عائلة إبليس. ومن المهمِّ جدًّا أن تعرف إلى أيِّ العائلتين تنتمي. أمّا الخطوة الأولى في صيرورة المرء فردًا من أفراد عائلة الله فهي أن يدرك مَن هو الله وما فعله بإعطائنا ابنَه، يسوع المسيح.

إنَّ معنى الإسم «يسوع» هو «يهوه خلاصٌ». لذا قال الملاك ليوسف: ...**تدعو اسمه يسوع، لأنّه يخلّص شعبه من خطاياهم (متّى ١: ٢١)**.

وقفة تأمُّل

١ ما دُمتَ مُخلِصًا، فهل يهمُّ حقًّا ما تؤمن به بشأنِ الله؟

٢ ما هو السبب الجوهريُّ للإنقسام بين البشر؟ أسياسيٌ هو أم اقتصاديّ أم عائليّ أم صناعيّ؟ أم هو روحيٌ وأبديّ؟

٣ إلى أيّ العائلتين اللتين ذكرهما الربُّ يسوع المسيح تريدُ أن تنتمي؟

في الوعي العميق للشرِّ الأدبيِّ، ربَّما أكثر من أيِّ شيء آخر، تكمُن المعرفةُ الخلاصيَّة لله.

– الدكتور آرنولد (مدير مدرسة رسميّة) –

ما المشكلة الحقيقيَّة؟

عندما بدأ القرن العشرون كان كثيرون من الناس مستبشرين جدًّا بشأن مستقبل هذا العالم. فقد اعتقدوا أنّه يوشك أن يدخل عصرًا ذهبيًّا من السلام والازدهار. وخُيِّل إلى كثيرين أنَّ خيرات هذه الحقبة الجديدة سوف تُرى في كلِّ بلد، حتّى البلدان التي فيها خلَّف اليأس والمرض والفقر المدقع معاناة لا توصف. ولكنَّ صفّارات الحرب دوَّت في جميع أنحاء أوروبّا سنة ١٩١٤.

واليوم، إذ دخلْنا عتبات القرن الحادي والعشرين، وعلى الرغم من الإنجازات العلميَّة الباهرة التي شهدناها، يبدو أنَّ الناس لم يعودوا يتحدَّثون عن مستقبل زاهر باهر. بل على النقيض، يُساور القلق ملايين البشر من جرّاء قدرات التدمير والفتك الهائلة الكامنة في مستودعات الأسلحة النوويَّة في العالم. حتّى إنَّ تشابك الإرهاب الدُوَليّ والمشكلات القوميّة تدفع كثيرين من المراقبين المهتمّين إلى أن يستنتجوا أنّنا نعيش في السنين الأشدِّ حرجًا وخطرًا ممكنًا عبر تاريخ البشريّة. وقد سبق لنا أن نظرنا في استقطاب الناس المتناقض في عالم اليوم. ذلك أنَّ نسيج المجتمع المتمدِّن بحدّ ذاته عرضةٌ للهجوم الشرس. فما الخطْب، وأين الخطأ؟ سعيًا للإجابة عن هذا السؤال،

يجتمع قادة عالميُّون بارزون ويتحادثون. وإذ يُثيرون القضايا، ويصغون بعضهم إلى نظريّات بعض ومقترحاتهم، يمضي العالم من أزمة إلى أخرى. فبصرف النظر عن كميّة الجهد والمال المبذولة، لا يبدو أحدٌ قادرًا على تغيير الاتجاه الذي يندفع فيه العالم. ومع ما يُسهِم فيه من خبرات خاصّة رجالُ الدولة وسياسيُّون بارزون، وعلماء وخبراء أذكياء، ورجال أعمال ومصرفيُّون عالميُّون بارعون، وأطباء وعلماءُ اجتماع محترَمون، فليس من جوابٍ ولا حلّ!

وعن هؤلاء العلماء الفهماء، لا تكاد تصدر إشارةٌ واحدة إلى ما يُعلِن الله أنّه مشكلة الإنسان الحقيقيّة، المشكلةُ الأساسيّة التي يجب تحديدها قبل التمكُّن من العثور على حلّ. فإنّما الله وحده قادر أن ينبّهنا إلى مشكلتنا الحقيقيّة. وعند هذه النقطة غالبًا ما نلمس الفرق بين أولئك الذين يبحثون عن الله حقًّا وأولئك الذين يملكون حُبَّ استطلاع دينيًّا فحسب.

لقد قال الله: **نعمل الإنسان على صورتنا (تكوين ١: ٢٦)**. فلعلّك تسأل: «من أيَّة ناحية خُلق الإنسان على صورة الله؟» طبعًا ويقينًا ليس من ناحية الشبه الجسديّ، لأنَّ الربَّ يسوع قال: **الله روح (يوحنّا ٤: ٢٤)**. فليس لله يدان ورجلان وعينان كما لنا نحن. **وهذا الإله ساكنٌ في نورٍ لا يُدنى منه... لم يَرَه أحدٌ من الناس ولا يقدر أن يراه (١تيموثاوس ٦: ١٦)**. فما وُجد قطُّ إنسانٌ غير مرئيّ. لذا ينبغي أن يكون للبشر ما هو أثمن قيمةً من الأجساد التي يعيشون فيها! فهذا الشخص الحقيقيُّ الذي يظلُّ حيًّا بعد فناء الجسد هو «الشخص» الذي خُلق على صورة الله.

يعلن الكتاب المقدّس أنَّ لله عقلاً وعواطف وإرادة. ففي هذه

المجالات الثلاثة خُلق الإنسان على صورة الله. ولكنْ لأنَّ الله هو الله، فإنَّ ذكاءه ومشاعره ومشيئته لا نهائيّة؛ أو بعبارة أخرى: ليس لها أيُّ حدّ. هذه هي طبيعته تعالى. أمّا الإنسان، على العكس، فهو محدود. حتّى إنَّ «آينشتاين» الألمعيَّ كان ذا عقل محدود. فلا إنسانَ يستطيع أن يعرف كلَّ شيء، ولا إنسانَ يستطيع أن يحبَّ بلا حدود، ويقينًا أنَّ إرادة الإنسان ليست مطلقة السيادة في الكون. إنَّه ليس سيّد مصيره، ولا هو ربّان قَدَرِه.

ثمَّ إنَّ شخصيّة الإنسان، من ناحية أُخرى، ذاتُ قدرة روحيّة تُتيح له أن يتعرَّف بالله وتكون له شركة معه. لهذا السبب يوضح الكتاب المقدّس جليًّا أنَّ للإنسان **روحًا ونفسًا وجسدًا** (**راجع ١تسالونيكي ٥: ٢٣**).

فالإنسان، بواسطة روحه، يملك إمكانيَّة أعطاه إيّاها الله بأن تكون له علاقة وثيقة بخالقه. وبواسطة جسده، ترتبط شخصيَّتُه (أو نفسه، أي قدرتُه على التفكير والاختيار والمحبّة) بالعالم المادِّيّ.

وما دمنا نُراعي سجلَّ الأولويّات حسب الكتاب المقدّس، إذ يَحُلُّ الروح أولاً والنفس ثانيًا والجسد ثالثًا، يكون كلُّ شيء بخير!

إلاَّ أنْ شيئًا ما أصابه الخطأ. ونتيجةً لذلك، ينعكس الترتيب لدى أناس كثيرين: فيصير الجسد الأولويَّة الأولى، والنفس الأولويّة الثانية، والروح الأولويّة الثالثة. فالمؤسف في عالم اليوم أنَّ المصالح الجسديّة والماديّة والحسِّيّة عند الكثيرين تهيمن على تفكيرهم وقراراتهم وعواطفهم، في حين تكون طاقتهم الروحيّة هامدة ومَيْتة. وعليه، فبدل أن يسمحوا لله بإحياء حياتهم الروحيّة والسيطرة على الشخص الذي خلقه فيهم

بالذات، يضعون الله في مرتبة أدنى، بل أيضًا يصرفون النظر عنه، بحيث لا يعود ممكنًا حصول تواصُل بين هؤلاء المُضلَّلين وخالقهم.

فالشخص الذي يكون الله عنده بعيدًا وغير حقيقيّ هو بالفعل ميت روحيًّا. أمّا الشخص الذي يتمتّع بالشركة مع الله فهو حيٌّ حقًّا وتمامًا.

الله الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبّته الكثيرة التي أحبَّنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح (أفسس ٢: ٤ و٥).

إنَّ مشاكل هذا العالم كلَّها بدأت بإرادة الإنسان. فالله لم يخلق البشر ليكونوا كالدُمى التي لا تقوى على الحركة بغير إرادةِ شخصٍ آخر. فإذ يشدُّ مُحرِّك الدُمى الخيوط، يسيطر على كلِّ حركة تقوم بها الدمية. غير أنَّ الله أعطانا حريَّة الإرادة حتَّى نتصرَّف كما نشاء ولكن بعطيَّة تلك الإرادة، صرنا أيضًا مسؤولين خُلقيًّا عن القرارات التي نقرِّرها. (وهذا أمرٌ يُرجَّح ألاّ تسمع من محلِّلين نفسيّين كثيرين يتجاهلون حقّ الكتاب المقدّس).

لقد حدثت مأساة من الدرجة الأولى في الجنس البشريّ بعدما خُلق الإنسان. فبين أشجار جنّة عدن، كانت شجرتان خاصَّتان، إحداهما تُدعى شجرة الحياة، والأخرى **شجرة معرفة الخير والشرّ (تكوين ٢: ٩)**. وقد قال الله لآدم وحوّاء إنَّهما يستطيعان أن يأكلا من جميع شجر الجنّة ما عدا شجرة معرفة الخير والشرّ. وإذ أتاح الله هذا الخَيار، خيارًا بين الطاعة والعصيان، أوضح بكلِّ جلاء أنّه خلق الإنسان، رجلاً وإمرأة، بإرادة قادرة على الاختيار. فكان لهما إمّا أن يريدا إطاعة الله وإمّا ألاّ يريداها. وهذا كان قرارهما الشخصيَّ الخاص.

لكنَّ آدم وحوّاء – وأسفاه! – تمرَّدا على أفضل ما أتاحه الله للبشر. وقد علم الله مسبّقًا أنَّ قرارهما العصيان سيجلب له ألمًا لا يوصف، وأنّه سيجرُّ الألم للجنس البشري كلِّه. ولكنَّ الله، في محبَّته لخليقته وعلمًا منه بالمجد الذي سيكون في ما بعد بمُتناول أولئك الذين يقومون بالخيار الصحيح، أعطى كلَّ شخصٍ حريّة الاختيار.

ثمَّ إنَّ الشيطان الكذّاب سخَّر نفوذه الخدّاع لإغواء آدم وحوّاء بأن يختارا الخيار الخطأ. فزيَّن لهما الثمرة المحرَّمة موحيًا لهما بأنَّهما إن أكلا منها يصيران مثل الله. (وما زال الشيطان يوحي بأنَّ الإنسان يمكن أن يكون إله ذاته. ولكنْ مثلما الله هو الله ولا يمكن أن يكون أقلَّ من الله، فكذلك تمامًا الإنسان هو إنسان ولا يمكن أن يكون أكثر من إنسان). غير أنَّ الشيطان خدع آدم وحوّاء لتنفيذ إرادتهما بعكس مشيئة الله. ونتيجةً لذلك، فكلُّ جيل جديد من البشر يُفصل عن شركةٍ مع الخالق حيَّة وشخصيّة ووثيقة، ما دام الجميع يتحدَّرون من نسل آدم. وهكذا، **كأنّما بإنسان واحد دخلت الخطيَّة إلى العالم، وبالخطيّة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع** (**رومية ٥: ١٢**).

إنَّ كلَّ مقبرة وكلَّ مستشفى وكلَّ جيش وكلَّ سجن، ممّا شهده العالم يومًا، هي نتيجة خيار الإنسان الخطأ عند بدء الخليقة. فهذا الشرُّ القتّال في الجنس البشريّ، والذي ندعوه الخطيَّة، هو داءٌ موروث أصيب به البشر جميعًا. وقد قطعت الخطيَّة شركة الإنسان الحقيقية مع الله، لكنّها لم تقف عند هذا الحدّ، بل فصلتِ الإنسان أيضًا عن أخيه الإنسان.

غير أننا، أنا وأنتم جميعًا، لسنا فقط خُطاة بالولادة، بل أيضًا خطاة بالفعل.

أمّا من جهة ولادتنا، فقد تكلّم ناظم المزمور عنّا أجمعين لمّا قال: **هأنذا بالإثم صُوِّرت، وبالخطيّة حبلت بي أمّي (المزمور ٥١: ٥)**. ولكنَّ حالة وراثتنا للخطيّة هذه لا تيسِّر عذرًا لنا عن أفعال الخطيّة التي ارتكبناها جميعًا. فالكتاب المقدّس ينصُّ أيضًا على أنّنا من **أبناء المعصية**... **عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنّا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضًا (أفسس ٢: ٢ و٣)**.

نعم، نحن مُذنبون أمام الله بسبب عصياننا الشخصيّ. فلا يمكن أن نلوم أيَّ شخص سوانا، لا زوجةً ولا صديقًا ولا أبًا ولا أمًا. حتّى الخلفيّةُ التي نطلع منها والبيئةُ التي نعيش فيها لا يمكن أن تُلاما. فأنت مسؤول عن خطيّتك الذاتيّة، مثلما أنا مسؤول عن خطيّتي الشخصيّة.

إنَّ السبب الحقيقيّ وراء رؤيتنا مقدارًا هائلاً من العداء والشقاق بين الناس هو أنّ الخطيّة هي الجامع المشترك بيننا جميعًا. فالخطيّة تربط المُلحِد بالمؤمن، وتقرن العربيَّ بالأعجميّ. الخطيّة تربط سكّان العالم الثالث بسكّان الدُوَل الصناعيّة. الخطيّة تقرن الشيوعيَّ بالرأسماليّ، والشرطيَّ بالمجرم، وداعيةَ المساواة بين الجنسَين بالشوفينيِّ الذكوريّ. فسواءٌ كان الناس فُسّاقًا أم وعّاظًا، عائشين على قمَّة الرفاهيّة أم في حضيض الفقر، مثقَّفين أم أميِّين، فالجميع **أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رومية ٣: ٢٣)**. والخطيّة هي العلَّة الجوهريّة لجميع التوتُّرات القائمة بين البشر.

إلاّ أنّ الربَّ يسوع هو رجاء الخاطئ! فقد قال: **لم آتِ لأدعو أبرارًا، بل خطاةً إلى التوبة (متى ٩: ١٣)**. وسواءٌ بمسافة قصيرة أم بمسافة كبيرة، فأنا وأنت قد أخفقنا في إصابة هدف قداسة الله. والكلمة «يُخطئ» تعني ببساطة «لا يُصيب الهدف». ونحن أنفسنا لا نستطيع وحدنا أن نفعل أيّ

شيء لإصلاح هذا الواقع. فمن الأمل الباطل أن نظنَّ أنّنا نقدر أن نُحرز السلام مع الله إمّا بأن نكون صالحين وإمّا بأن نعمل أعمالاً صالحة. إنَّ ذلك **ليس من أعمال، كيلا يفتخر أحد (أفسس ٢: ٩)**. ولذلك قال المسيح في معرض حديثه عن الخلاص: **إنّي أريد رحمة، لا ذبيحة (متّى ٩: ١٣)**.

فمن شأن الفهم الحقيقيّ لرحمة الله أن يأتي بإراحةٍ غامرة للأشخاص الذين يستبدُّ بهم الشعور بفداحة خطيَّتهم الشخصية.

ولأنَّ الله غنيٌّ في الرحمة (أفسس ٢: ٤)، فكلُّ ما يطلبه أن تقبل خلاصه هبةً مجّانية. **لأنّكم بالنعمة مخلَّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم: هو عطيَّة الله (أفسس ٢: ٨)**. وقد قدَّم المسيح بذاته الذبيحة العُظمى كي يفتح للخاطئ باب الدخول إلى حضرة الله المقدَّسة.

فإنَّ إله الرحمة قد جعل الآن الحياة الفيّاضة الفُضلى متوافرة مجّانًا بواسطة الربِّ يسوع المسيح. ولكنْ لأنَّ الله قد أعطاك إرادة، فهو لم يُجبرك على أخذ نصيبك من تلك الحياة. فكيفيَّة استجابتك لعرْض الله عطيَّته المجانيّة مسألةٌ ذات إلحاحيَّة فائقة. ويقول الله: **هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص (٢ كورنثوس ٦: ٢)**. الآن، وليس في أيِّ وقت من المستقبل، بعد أن تكون قد حاولت إصلاح حياتك بنفسك! فتذكَّر أنَّ المسيح قال: **لم آتِ لأدعو أبرارًا، بل خطاةً، إلى التوبة (متّى ٩: ١٣)**.

فأن تكون صادقًا بشأن مشكلتك الحقيقيّة، مشكلة الخطيَّة، هي أوّل خطوة على درب حلِّها. إنَّ ذراعَي الربِّ يسوع مفتوحتان لاستقبالك اليوم، أينما كنتَ، وفي أيِّ ظرفٍ أو حالة كنت. وكلُّ ما يريد أن يسمعه منك هو القول: **اللهمَّ ارحمْني أنا الخاطئ (لوقا ١٨: ١٣)!**

رسالة من «سجن سي ماكس»

الاقتباسات التالية غير المنقّحة مقتطفة من رسالة وصلتنا من سجينٍ في سجن الأمن الأكثرِ تشديدًا في جنوب إفريقيا.

كتابكم «بحثك عن الله» يساعدني أن أفهم كلمة الله. أعني: هذا الكتاب يساعدنا أن نجد طريق الحياة الصحيح. أعتقد فعلاً أنكم تفهمونني. صديقي أعطاني هذا الكتاب... أومن أنَّ الله خالق، وهو خالق كلِّ الكون. أعتقد أنّ الله سيساعدني إذ أنا الآن محبوس...

– من تقرير قدّمته «إذاعة حول العالم» –

وقفة تأمُّل

١ هل تدرك أنَّ في المجتمع اليوم ما هو خطأ على نحو مأساويّ؟

٢ إذا أصابك مرض، فهل يكون مهمًّا أن يُحسِن طبيبك تشخيص مرضك قبل أن يصف لك دواء؟

٣ كيف يشخِّص الكتاب المقدّس مشكلتك؟ وأيَّ علاج يصف لمشكلتك؟

وكان قبلاً في المدينة رجلٌ اسمه سيمون، يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة، قائلاً إنّه شيء عظيم. وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير، قائلين: «هذا هو قوّة الله العظيمة.»

(أعمال الرسل ٨:٩ و ١٠)

لماذا الناسُ مُضلّلون هكذا؟

كنتُ في صغري أسكن في منطقة من الجُزُر البريطانيَّة تطير فوقها دائمًا قاذفات معادية. كان ذلك في أيّام الحرب، وتلك القاذفات في طريقها إلى أهدافها في وسط بريطانيا الصناعيّ وشمالها. وقد تعوَّدنا، أنا وأصدقائي، أن نميّز بين هدير قاذفات العدوّ من زمجرة طائراتنا المقاتلة. حتّى إذا شاهدنا الأنوار الكشّافة تُلقي ضوءَها على طائرة معادية في الأجواء، أخذتنا الحماسة الشديدة. فقد علمنا أنَّ إطلاق المدافع المضادَّة للطائرات من على الأرض، أو المعركة الجوّيّة في الفضاء، سيُسفِران أحيانًا عن إسقاط قاذفةِ قنابل.

ولدى إسقاط طائرة معادية، وُجدَت دائمًا إمكانية بأن يهبط بعض الطيّارين بالمظلات وينجوا. فلكي تُصعِّب السلطات على الناجين الاهتداء إلى طريقهم، ومن ثمّ الفرار وربَّما العودة إلى ديارهم، عمدت إلى تفكيك الصُّوى عند تقاطع الطُرق. وهكذا اختفت اللافتاتُ فعلاً عن الطرقات.

ولكنّنا نحنُ الصغار عرفنا أنّه خارج المدينة، في «ووتن وُدز»، كانت لافتة صغيرة ما تزال قائمةً عند تقاطعُ طُرق غير مهمّ. فعندما عكسنا اتِّجاه تلك اللافتة لتدلَّ إلى الجهة الخطأ، اعتقدنا فعلاً أنّنا نُسهِم

في المجهود الحربيّ. ذلك أنّنا، مثلنا مثل السلطات المحلِّيّة، أردنا أن نُربِك أيَّ ضيوف غير مرغوب فيهم يطأون شواطئنا.

وبطبيعة الحال، لو حمل شخص كهذا بيده خريطة موثوقة، ما كان واقع عدم وجود لافتات ليُشكِّل له أيَّ مشكلة. حتّى إنّ فكرتنا الصبيانيّة بإدارة وجهة اللافتة ما كانت لتُربِك العدوّ، إلاّ إذا اختار أن يتجاهل المعلومات المدوّنة على خريطته.

ويُبيّن لنا الله أيُّ نوع من الناس، في بحثهم عن الله، سوف يُضلَّلون من جرّاء لافتة زائفة.

بادئ ذي بدء، أيّ شخص يختار أن يغضَّ نظره عن الحقيقة المتمثَّلة بأنَّ وجود هذا الكون العجيب يدلُّ إلى الإله الخالق لا بدَّ أن يعتريه الارتباك فعلاً!

وبينما هم يزعمون أنّهم حكماء، صاروا جهلاء... وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهنٍ مرفوض... (رومية ١: ٢٢، ٢٨).

وهذا الذهن المرفوض الفاسد سيتعبَّد للمخلوقات عوضًا عن الخالق بالذات. أمّا الإنسان السليم التفكير فسيتعبّد لخالقه. وعليه، فإذا رفضت أن تؤمن بأنَّ الله خلق الكون، يسلّمك الله إلى ذهن منحطّ، ويدعك تؤمن بفكرةٍ ما من الفِكَر الغريبة بشأن الكيفيّة التي بها برز الكون إلى الوجود. فالذهن الفاسد ذهنٌ مخدوع!

كذلك أيضًا يُنبّه الله على أنَّ الذين يرفضون قبول كلمة الله بصفتها الحقّ يسلكون بيُسر سبيلَ ضلالٍ لا بدّ أن يُفضيَ بهم إلى الهلاك.

فبالحقيقة أنَّ أيَّ شخص يختار ألاّ يحبَّ حقَّ كلمة الله بإيجابيّةٍ وفعاليّةٍ يضعُ نفسه في موقفٍ خَطِر جدًّا.

لأنّهم لم يقبلوا محبّة الحقّ حتّى يخلصوا... سيُرسِل إليهم الله عمل الضلال حتّى يصدّقوا الكذب... (٢تسالونيكي ٢: ١٠ و١١).

فما إن يرفض المرء الحقَّ أو يتجاهله، حتّى يعتنق بسرورٍ ما هو زائف.

لا أنسى مرّةً حاولت فيها أن أتلمّس طريقي إلى البيت وسط ضبابٍ لُندُنيّ كثيف. فلكي أهتديَ إلى حافة الطريق فحسب، احتجتُ إلى كلِّ مساعدةٍ في متناول يدي. حتّى ضوء الفنار اليدويّ الذي كنت أحمله لم يكُن يُرى إذ مددتُ يدي به. ويقول لنا الله إنَّ ضلالاً شديدًا، شبيهًا بضبابٍ عقليّ فعلاً، سوف يصحب نهاية نظام الأمور الحاليِّ على كوكب الأرض، إذ يكون الناس قد رفضوا حقَّ كلمة الله. وقد سأل المسيح تلاميذُه: **ما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟** فمن جملة أمور أخرى، أجابهم:

لأنّه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويُعطون آياتٍ عظيمة وعجائب، حتّى يُضِلُّوا – لو أمكن – المختارين أيضًا (متّى ٢٤: ٢٤).

حتّى إنّك الآن قد تكون قائلاً لنفسك: «حسنًا، أنا غير مُضلَّل.» بل قد تُفاخر بحقيقة كونك قادرًا على أن تميّز بسهولة مَن كان مسيحًا زائفًا أو نبيًّا كذَابًا. ولكنْ تمهَّل هنيهةً، وفكِّر في دعواك. فإن كان الله، لأنّك لم تحبَّ الحقّ، قد سمح للشيطان بأن يُضلِّل ذهنك، فإنّك يقينًا لن تكون متنبِّهًا إلى واقعك. وإذا علمتَ بالفعل أنَّ نبيًّا كذّابًا ما قد ضلَّلك، فلا تكون بالحقيقة مخدوعًا البتّة. فكلُّ ضلالٍ مُفتَخَرٍ به يصعب عليه أن يتقبَّل أنّ ذهنه قد انخدع فصدّق أكذوبة.

وهنالك نوعان من الناس يقاومان الحقّ حين يقرأان الكتاب المقدّس، وبذلك ينفتحان إلى الضلالات التي يُعلِّمها العالم. أحدهما الشخص المُفاخِر بعقله، والمكتفي ذاتيًّا كما يبدو. أمّا الآخر فالشخص غير المُطيع خُلقيًّا. ولكنَّ لكلِّ شخصٍ يرغب حقًّا في العمل بمشيئة الله وعدًا خاصًّا من الربِّ يسوع: **إن شاءَ أحد أن يعمل مشيئته، يعرف التعليم: هل هو من الله، أم أتكلّم أنا من نفسي (يوحنّا ٧: ١٧).**

فإن شئتَ حقًّا أن تعمل بمشيئة الله، فلك أن تثق بأنَّ الله، بواسطة الكتاب المقدّس، سيعلّمك بماذا تؤمن وبماذا لا تؤمن، وكيف تتصرّف وكيف لا تتصرّف.

إنمّا ينبغي لنا أيضًا أن نحرص على رفض كلام أولئك المعلِّمين الدينيّين الذين نصّبوا أنفسهم بأنفسهم ولا يعلّمون كلمة الله الصادقة، بل يحاولون بالحريِّ أن يجعلوك تؤمن وتعمل بالأمور الخطأ.

ففي جيلنا هذا، ينشط بعضٌ من عملاء الشيطان الذين يُضلِّلون الناس، وهم أعضاء في حركات تزعم أنّها مسيحيّة. ولكنّ أيَّ شخص اختار أن يرفض الحقَّ المتعلّق بالله الآب والله الابن والله الروح القدس، الثلاثة في الواحد والواحد في الثلاثة، هو نبيٌّ كذّاب. ولئن اقتبس هؤلاء القوم آياتٍ قلائل معزولة من الكتاب المقدّس، فإنّهم يُبعدون النصّ عن سياقه كليًّا، وهكذا يروِّجون بِدَعًا دينيّة غير كتابيّة. وفي وسعك دائمًا أن تكشف المعلِّم الزائف بسؤاله: «مَن هو يسوع المسيح؟» وهذا من جملة الأسباب التي تجعل معرفتك لحقيقة المسيح أمرًا بالغ الأهميّة.

وعندما تعرف يسوع بالحقيقة على أنّه الله الابن، فحتّى الجمعيّات

السرِّيَة التي تقوم بين أفرادها صداقةٌ حميمة تتبدَّى في مساعدتهم بعضهم بعضًا ستبدو لك وجهًا آخر من أوجُه الضلال الروحي.×

وبينما قد يُذكر الله في جمعيّات من هذا النوع، فإنَّ هذه الجماعات تتجاهل تعليم الربّ يسوع الذي قال: **ليس أحدٌ يأتي إلى الآب إلاّ بي**

× «الماسونيّة» هي أكبر جمعيَّة سريّة دُوَليّة في العالم، وتفاخر حاليًا بعضويّة نحو عشرة ملايين شخص حول العالم. ومع أنّ مبادئها المتمثّلة في «الحبّ الأخويّ والإغاثة والحقّ» تبدو جذّابةً للكثيرين، فهي ليست عديمة الضرر كما قد تبدو لغير المنضمّين إليها. فلكي يصبح المرشّح ماسونيًّا، عليه أن يعترف أنّه في الظلام متلمِّسًا النور. أمّا تابع المسيح فقد سبق إيمانه بأنّه اهتدى إلى النور. إذ قال الرب يسوع: أنا هو نور العالم؛ مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة (يوحنّا ٨: ١٢). وشعائر الإنضمام إلى جمعيّة الماسونيّة السرّيّة دراميّة جدًا وحافلة بالرمزيّة.

آنذاك يُقاد المُرشّح الماسوني بعيدًا عن مفهوم الله حسب الكتاب المقدّس، إذ يُعرّف بإسم «غَوتو». ويُقال للمرشّح أنّ الإسم «غَوتو» هو «إسم الله المفقود» وإنّ «غَوتو» هو «مهندسُ الكون الأعظمُ». ونظريًا، كلُّ مَن يؤمن بالله، بوذيًّا كان أو هندوسيًّا أو مسلمًا أو مسيحيًّا أو يهوديًّا، يستطيع أن يصير ماسونيًّا. ومن ثَمَّ، فإنّ «غَوتو» (مفهومٌ عن الله من صنع البشر) يُبعِد أفكار المرشّح عن يسوع أنّه هو النور الحقيقي (يوحنّا ١: ٩). وفي ما بعد، حين يصير الماسوني ماسونيًّا أُستاذًا، يُعلَّم اسمًا آخر لله: «يا هبُلون». وهذا الإسم هو بالحقيقة مُركّب مزجي لأسماءٍ تُشير إلى الله عند اليهود وبعض شعوب الشرق الأوسط قديمًا. إنّه يتألف من «ياه» (اختصار «يهوه») و«سبُلس» (صيغة من صيغ «بعل») و«أون» إله الشمس عند المصريين الأقدمين. وهذا مثل بارز على «الحركة التوفيقية» في محاولاتها العبثيّة للجمع بين المعتقدات المتخالفة. إلاّ أنّ الربّ يسوع نفسه قال: «إن كان النور الذي فيك ظلامًا، فالظلام كم يكون!» (متّى ٦: ٢٣).

(**يوحنّا ١٤: ٦**). ويتضمّن الكتاب المقدّس كلماتٍ تُندِّد بمن يعتنقون معتقدًا ضلاليًا بشأن الله: **أنت تؤمن أن الله واحد؛ حسنًا تفعل: والشياطين يؤمنون ويقشعرُّون (يعقوب ٢: ١٩)**.

كذلك نرى اليوم تزايُدًا مقلقًا في النشاط من قِبَل الأديان التي تنكر إله الكتاب المقدّس. فإنّ طوائف شتَّى من الديانة الهندوسيّة تجتذب الاهتمام والاتّباع من قِبَل كثيرين من الدُخلاء. وفي بُلدانٍ عُرفت في ما مضى بتراثها الكتابيّ، تُقدَّم الفلسفة الهندوسيّة الأساسية في صورة التأمُّل التجاوزيّ، أو ضروب التصوُّف الشرقيّ كاليوغا والتقشُّف. ومختلف المذاهب التي طلعت من الهندوسيّة تتعبّد بجهالةٍ لآلهة عديدة في الخليقة عوضًا عن الإله الخالق. ويؤسفنا القول إنَّ كثيرين من أصحاب العقول المضلَّلة يخلبُهم «غورو» (معلِّم دينيٌّ) ممجِّدٌ لذاته أكثر ممّا يعنيهم إله الخلق الذي اتَّضع فزار كوكب الأرض.

ولا يدَّخر الدُّعاة الدينيُّون مالاً أو جهدًا لنشر أفكارهم، ولو كانت مناقضةً لحقِّ الإنجيل، أي البشارة المختصَّة بيسوع المسيح. وهذا لُبُّ البشارة:

لأنّه هكذا أحبَّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلُّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديّة (يوحنّا ٣: ١٦).

ثمَّ إنَّ الضلال الروحيَّ ليس مقصورًا على العالم الدينيّ. فإنّ العالم الدُنيويَّ قد اعتنق فلسفة إنسانيّة مُلحدة تقول بأنّ الإنسان هو مركز الكون، وبأنّ هدف المجتمع الأسمى تطويرُ الإنسان. ويُجاهَر بالفلسفة الإنسانيّة في الجامعات والصحف، وكليّات اللاهوت العصريّة في دُول

عديدة، والمجلاّت الشعبيّة، وبالراديو والتلفزيون. كما أنَّ الشعار «دلِّل نفسك!» هو الموضوع الأنانيُّ الذي يروِّجه عالمَ الإعلان.

ولكنّ «الإنسانيّة» – وهي عبادة الإنسان لا غير – ليست فلسفة جديدة كما يعتقد بعض. فقديمًا في أيّام بولس الرسول، قال الله: **استبدلوا حقَّ الله بالكذب، واتَّقَوا وعبدوا المخلوق دون الخالق**... (**رومية ١: ٢٥**). ويسأل الربُّ القائلين بالفلسفة الإنسانية سؤالاً مُذِلاً بلا شكّ: **أين كنتَ حين أسَّستُ الأرض؟ أخبِر إن كان عندك فهم!** (**أيُّوب ٣٨: ٤**). وهذه هي القصة منذ القديم. فلمّا جاء الشيطان إلى حوّاء، اقترح عليها أمرًا مستحيلاً وكأنّه ممكن إذ قال: **تكونان كالله** (**تكوين ٣: ٥**). وفي يومنا هذا ما ينفكُّ الشيطان يقوم بعمله الماكر من خلال التعاليم المضلِّلة التي تنشرها الفلسفة الإنسانيّة الدنيويّة.

ربّما كنت شابًا عصريًّا لا يعني لك المشهد السياسيّ أو الدينيُّ أيَّ شيء. فالسياسيّون عندك موضع شبهة والدين موضوع لا صلة له بواقع الحياة. ولذا تؤثر أن تنضمَّ إلى أقرانك لتبحث عن الإشباع الشخصيّ في مكان آخر. إذ قد تعتقد أنّ نمط الحياة الذي تصفه أغاني «الروك» أو موسيقى «الموجة الجديدة» أو «الآلات المعدنيّة الثقيلة» أو أيّ شيء آخر في الساحة، يوفّر لك مهربًا من عالم الوحشة الذي ربما تلقي نفسك فيه.

إنّك طبعًا تنتبه إلى الكلمات التي تُصغي إليها وترقص على وقعها. ولئن كنت لا تميل إلى وصفها على نحو ما أصفها، فيقينيٌّ أنّك

توافقني على أنّها في معظمها خليطٌ من عبادة الشيطان والساديَّة والجنس. فليس بنادر أن تُزيِّن هذه الأغاني أهوال جهنَّم كبديلٍ جذّاب من وجودٍ يُفترَض أنّه تافه. ففي جوٍّ يصل أحيانًا إلى العنف المسعور، ترتفع الراية التي يحتشد تحتها هؤلاء الشبّان والشابّات لتشجّعهم على تدمير أنفسهم وبعضهم بعضًا.

ولأُخبرْك عن مكانٍ رهيب في مدينة لوس أنجيليس. إنّه مستودع جثث يسمُّونه «البرّاد». فهنالك تودَع ستُّ مئة جثّة، أكثرها لشبّانٍ وشابّات، مدَّة ثلاثة أشهر، على أمل أن يتمكّن أحدٌ من التعرُّف بها. وبإحدى قدميّ كلِّ جثّة تُعلَّق بطاقة عليها الكلمتان «مجهول الهويّة». ومُعظم هؤلاء التُعساء يُدفنون أخيرًا في قبور الفقراء دون أن تُعرف أسماؤهم. كما أنَّ أغلبهم جاؤوا من مسرح المخدِّرات وقد لبَّوا إيحاءات الرسالة التي تبثّها الأغاني «الحديثة» وتُصغي إليها الشبيبة بواسطة الأشرطة والديسكات في ملايين المنازل. لقد اتّبعوا لافتة الطريق الخطأ. وإذا بهم في نهاية الطريق لا يقوون بعدُ على تغيير الاتّجاه. ويا ليتهم سمعُوا ووعَوا كلمات الربِّ يسوع إذ قال: **وأمّا أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل (يوحنّا ١٠: ١٠)**.

ولزيادة طين هذه الفوضى العارمة بلّةً، يهتمُّ «بفنون السحر الأسود» عددٌ من الناس يتزايد تزايُدًا مقلقًا. فالمصادر الثقة تبيّن أنَّ الاهتمام الناشط بضروب التنجيم والسحر شائعٌ اليوم كما كان في ما يُعرف بالعصور المظلمة. وهذا حاصلٌ رغم «التنوير العلميّ» المزعوم في أيّامنا!

وعبّاد الشيطان يتكاثرون في أماكن قلّما تصوّرنا إمكانيّة تواجُدهم

فيها. إذ يجتمع محترفون من مدينة لندن في «كنسنغتون» للاحتفال «بالقدّاس الأسود». وقد تكاثرت أوكار الساحرات في أوروبا كما في أماكن نائية مثل جزيرة «فانكوفر» الجميلة. ويجري تطبيق الممارسات السوداء المتعلّقة بعبادة الأسلاف في جلسات تحضير الأرواح في أماكن شتّى من العالم. كما تُغذّي افتتانَ الناس المتفاقم بالشرّ والخوارق ألعابٌ مُترفَة مختلفة مثل «الزّنزانات والتّنانين» و«لوحة الأويجا». وفي الواقع أنَّ مثل هذه الظواهر المتكاثرة ناتجةٌ من فضولٍ روحيٍّ سطحيّ. فإنّ كثيرين من الناس، في ضلال بحثهم عن الله، لا يتحوَّلون عن نور الله فقط، بل يتحوَّلون أيضًا إلى ظلمة الأرواحيّة طلبًا لإشباع روحيٍّ خاوٍ وزائف مهما كان نوعه. وهذا كلُّه يجري في ما زلنا نسمّيه العالم المتمدِّن!

فيحسن بنا أن نتذكّر ما يقوله الله عن الأيام الأخيرة. فهو ينذرنا بشأن ما سيرافق الضلالَ العارم في أزمنة النهاية **من أنبياء كذبة ومن آيات وعجائب كاذبة**. وبالحقيقة أنَّ الله يخبرنا بأنّه سوف يقوم مضِلٌّ أكبر ستكون أفعاله الأثيمة بموجب عمل الشيطان، **بكلّ قوّة، وبآيات وعجائب كاذبة، وبكلّ خديعة الإثم، في الهالكين (٢تسالونيكي ٢: ٩ و١٠)**.

وبسبب هذا الاهتمام المتعاظم بالتعاليم الزائفة والممارسات الشرّيرة، لا يصعب علينا أن نفهم لماذا تسيطر على عدد متزايد من البلدان والمجتمعات قوى طاغيةٌ هائلة من الشُكوكيّة والاستسلام العدميّ واليأس الشديد. فإنّ لافتات الشيطان أكثر من أن تُذكر، ولكنْ يمكنك أن تتيقّن بأنّ أيّة لافتة منها لا تدلُّ إلى الربّ يسوع المسيح بوصفه مُنجِّي البشر الوحيد.

ولكنَّ رسالة الله، على نقيض وصف العالم الكئيب للحياة، ليست بكلّ يقين صورة قتام واضطراب وموت. إنّ رسالة الله رسالة رجاء ويقين وحياة نابضة، كما توجد في المسيح.

فإذ تقرأ الكتاب المقدّس في إطار بحثك عن الله، فلا بدّ أن يوجِّهك الروح القدس دائمًا إلى الربّ يسوع المسيح الذي قال: **أنا هو الطريق والحقُّ والحياة**. ولا يمكن أن يكون سواه البتّة، لأن الربَّ يسوع أردف قائلاً: **ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي (يوحنّا ١٤: ٦)**.

لقد حذّرك الله من لافتات الطريق المضلِّلة، كي لا تضلَّ السبيل. وكذلك أعلمك أيضًا بالانخداع المتفاقم الذي قد يكتنف تفكيرك. وها هو الآن يقدّم لك هذا الوعد:

لأنّي عرفتُ الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم... أفكار سلام لا شرّ، لأعطيكم آخرة ورجاء. فتدعونني وتذهبون وتصلّون إليّ، فأسمع لكم. وتطلبونني فتجدونني، إذ تطلبونني بكلّ قلبكم. فأوجَد لكم يقول الربّ (إرميا ٢٩: ١١-١٤).

وقفة تـأمُّـــل

١ أيُّ ذهنٍ من شأنه أن يعبد المخلوق بدل الخالق؟
(إقرأ: رومية ١: ٢٢–٢٨)

٢ في بحثك عن الله، ما المفتاح الذي يفكُّ لك مغاليق أيّة مشكلة فكريّة تعترضك؟ (إقرأ يوحنّا ٧:١٧) أهو ذهنك؟
أم هو رغبتك وإرادتك؟

٣ هل زوَّدك الله «لافتة» واضحة كي يهديك إلى ذاته؟
(إقرأ يوحنّا ٨: ١٢).

منذ سنين عديدة سأل صبيٌ في صفٍّ من صفوف مدرسة الأحد في بريطانيا معلِّمة المدرسة الأحديّة: «هل يحبُّ الله الأولاد غير المطيعين؟» فقالت المعلِّمة: «لا، إنّه لا يحبُّهم إطلاقًا!» ويا للتجديف غير المقصود في قول ذلك لفتًى صغير! فلو كان الله لا يحبُّ الأولاد غير المطيعين، لما أحبَّني قطّ! ويقول شكسبير: «لا تكون المحبَّة محبّة إنْ هي تحوَّلت متى أتيح لها التحوُّل.»

أحقًّا يحبُّني اللّهَ؟

هل تساءلتَ مرةً عن محبّة امرئ يعني لك الكثير؟ أم هل حاولتَ يومًا أن تبرهن أنّك تحبُّ شخصًا لا يصدِّق أنّك تحبُّه؟ في كلتا الحالتين، ستدرك أنَّ المحبّة الحقيقيّة في بعض الأحيان يمكن التعبير عنها بالأفعال أفضل منه بالأقوال.

وبما أنَّ الأفعال أقوى كثيرًا جدًا من الأقوال، فقد برهن الله محبَّته لك بما فعله لمّا مات المسيح على الصليب. وعندما تدرك مغزى ذلك، لا تعود تحتاج إلى تفسير آخر يساعدك على إدراك كون الله يحبُّك حقًّا بالفعل.

بُعيد اهتدائي إلى الايمان بالمسيح، قرأتُ قصَّة حقيقيّة عن صبيّ بوّاق وجُنديّ خدما كلاهما في الجيش إبّان الحرب البُويريَّة. كان الصبيُّ البوّاق «وِلي هُلْط» في الثانية عشرة من عمره لمّا فُصل إلى خيمةٍ مع سبعة جنود غير مؤمنين، اسمُ أحدهم «بِلْ». ولكنْ على خلاف «بِلْ»، كان «وِلي» مؤمنًا بالربِّ يسوع المسيح تقيًّا. وكان كلَّ مساء يجثو بجانب سريره بهدوء ليُصلّي ويقرأ كتابه المقدّس. وفيما هو عاكفٌ على ذلك، كان الجنود الآخرون يستهزئون ويسبُّون.

وذات يوم دعا الكولونيل المسؤولُ سَرِيَّة الجنود للاستعراض. فإنّ

سارقًا منهم اقتُفي أثرُه إلى الخيمة التي يُقيم فيها «وِلي» و«بلْ». وفي محاولة يائسة لكشف الجاني، أصدر الكولونيل إنذارًا إلى السريّة كلِّها، قائلاً: «إنذاراتي السابقة لم تُجدِ نفعًا. فالبارحة عاد السارق إلى السرقة أيضًا. واليومَ أعطي الجانيَ فرصة أخيرة للتعريف بنفسه وتلقِّي عقوبته كرجُل. فإن لم يتجاوبْ، فكلُّ فردٍ في السريّة سيُعاقب بعشر جلدات بالسَّوط على ظهره العاري. ولكنْ إذا تقدّم واحدٌ منكم لتلقِّي العقوبة، يُعفى الباقون.»

وبعد صمت متوتِّر، لفت انتباه الجميع أنَّ «ولي» هبَّ واقفًا وتقدّم إلى الأمام وقال: «سيّدي، قُلتَ للتوّ إنّه إذا تقدّم واحدٌ منّا لتلقِّي العقوبة يُعفى الباقون. سيّدي، سأكون أنا ذلك الواحد.» فصاح الكولونيل غاضبًا على الجبان المجهول: «كيف تقبلون أن يتلقّى ولد بريء عقوبتكم؟» ولم يتحرّك أحد. فأردف الكولونيل: «إذًا ستشاهدون مشهدًا بائسًا إذ يتلقّى صبيٌ بريء العقوبة عن الرجل الجاني.»

ثمَّ أمر الكولونيل، وفاءً بكلمته، أن يُعرَّى ظهر «وِلي». وعندئذٍ بدأت الجلدات القاسية تنهال. وإذ أُغمي على «وِلي» تحت الضربات الشديدة، لم يعُد «بِلْ» يقوى على تحمّل المنظر المُحزن، وفجأةً اندفع من بين الصفوف صائحًا: «كفى! أنا السارق. وسأتلَقَّى عقوبتي.» إذ ذاك أفاق «وِلي» من إغماءته، ورفع عينيه نحو «بِلْ» برقّة وهمس: «لا بأس يا «بِلْ»، لا يستطيع الكولونيل أن يتراجع عن كلمته الآن. سأتلَقّى كامل عقوبتك.» وهكذا كان!

لم يتعافَ «وِلي» الطريُّ العود قطُّ من جراحات جَلدِه. ولكنْ قبل رحيله إلى السماء، جلس «بِلْ» المفطورُ فؤادُه الآن بقرب سريره سائلاً: «لماذا يا وِلّي؟ لماذا فعلت هذا بدلاً منّي؟ أنا لا أستحِقُّ فعلك!» فجاء جواب «وِلي» بسيطًا وبليغًا: «لقد حاولتُ مرارًا أن أخبرك كم يحبَّك الله، لكنّك كنتَ تضحك دائمًا. ففكّرت بأنّني إذا تلقَّيتُ عقوبتك فقد يساعدك هذا على أن تفهم كم أحبَّك الربُّ يسوع إذ مضى إلى الصليب ليحلَّ محَّلك ويموت من أجل خطاياك.»

وقبل انطلاق «وِلي» إلى السماء، قَبِلَ «بِلْ» الخلاص المجّانيَّ الذي يقدِّمه المسيح المحبُّ بإحسان فائق وسخاء منقطع النظير.

فعلى يد المسيح، أطلقت السماء عمليَّتها الظافرة لإنقاذ البشر الهالكين. وقد كانت المحبّة، محبّةُ الله لكلِّ واحدٍ منّا، هي ما أفضى إلى إتمام المسيح فعل تضحيته وآلامه الذي لا يُصدَّق.

الإنسان الكامل

ثلاثة صلبان نُصِبت على موضع جُلجثة. على اثنَين منها صُلِب لصّان. وبين هذين المجرمين سُمِّرَ الربُّ يسوع، وهنالك مات!

وقد تجرَّأ أحد اللصّين، في أثناء ساعاته الأخيرة من معاناة الآلام المبرِّحة، فعبَّر عن رأيه في النظام القضائي الشكليّ الذي في ظلِّه حُكم بالموت على المصلوبين الثلاثة. والمُدهش، كما قد يبدو، أنَّ همَّه الاوّل لم يكن جسده الذي أنهكه الالم وعذَّبه. فبدلاً من ذلك توجَّهت

أفكاره إلى كيفيّة مخالفة القضاء الرومانيّ للعدالة السويّة إذ حكم على يسوع بالميتة عينها التي كابدها اللصّان. هذا الظلم السافر هو ما بدا أنّه أقلقه. فبصفاء ذهنٍ واتّضاع، أبدى اللصُّ المُحتضَر ثلاث ملاحظات دقيقة جدًا وهو يدنو من لحظته الأخيرة.

أوّلاً: نحن... ننال استحقاق ما فعلنا. بهذه العبارة الوجيزة والمتَّضعة، أقرَّ اللصُّ المُحتضَر بمسؤوليّته عن جريمته، ومن ثَمَّ اعترف بذنبه الشخصيّ الخاصّ.

ثانيًا: نحن (نموت) بعدل. في أيّامنا هذه، حيث الاختلاس المحدود – بل السرقات المقترنة بالعنف أيضًا أمرٌ شائع، قد يصعب أن ندرك مدى الخطورة التي بها كان يُنظر إلى مثل هذه الجرائم في القرن الاوّل. ولكنْ بما قلَّ ودلَّ، عبّر اللصُّ المحتضَر عن يقينه بأنَّ حكم الموت الذي تلقّاه، في زمنه، كان شرعيًّا وعادلاً: «أمّا نحن فبعدل.»

ثالثًا: وأمّا هذا، فلم يفعل شيئًا ليس في محلّه. لئن كان رائعًا أن نقرأ كيف أقرَّ اللصُّ التائب بذنْبه الشخصيّ، وكيف تقبّل عدل النظام القضائيّ، فمن المُذهِل جدًا أن نقرأ عن اهتمامه بأمر يسوع المعلّق على صليبه إلى جانبه. إذ قال اللصُّ المائت: **وأمّا هذا (الإنسان) فلم يفعل شيئًا ليس في محلّه،** مشيرًا إلى كونه بارًّا وبريئًا، ومن ثَمَّ فقد حُكم عليه بالموت ظُلمًا.

وإذ تبكَّت هذا اللصُّ على خطيَّته بالذات، وهو معلَّقٌ على صليبه، لم يكن له من أملٍ إلاّ بالإلتفات نحو الربّ يسوع. وهكذا توسَّل إليه بعد ذلك قائلاً: «اذكرني، يا ربّ، متى جئتَ في ملكوتك.» واستجابةً من الربِّ يسوع – كما يفعل دائمًا – لهذا الاعتراف الصادق

بالذنْب والحاجة، وعده في الحال: **إنّك اليوم تكون معي في الفردوس (لوقا ٢٣: ٣٩-٤٣)**.

ففي ذلك اليوم نال اللصُّ المحتضَر تأكيد الحصول على الحياة الأبديّة، شأنه في ذلك شأن جميع الخطاة التائبين الراجعين إلى الربّ. إنّه توجَّه إلى الشخص الصحيح: الربِّ يسوع المسيح، والتمس رحمته في المكان الصحيح: الصليب الذي عليه مات المسيح.

نعم، في ذلك اليوم المهيب المهول، وفي نظر أحد اللصَّين المحتضرين، كان الربُّ يسوع بلا ذنْب حقًّا. إنّما في ما بعد كان اثنانِ من تلاميذ المسيح أكثر تحديدًا في ملاحظاتهما. فقد شهدا بأنَّ يسوع كان بلا خطيّة. هذان التلميذان كلاهما، ومعهما الرسول بولس، سجَّلوا كلٌّ واحد شهادته الشخصيّة لخلوِّ المسيح من الخطيَّة.

فبطرس، واحدٌ من اصدقاء الربّ يسوع الأقربين، عُرف بوصفه رجلُ أفعالٍ مندفعًا. وعليه، فلمّا شهد لخلوِّ المسيح من الخطيّة، كان منسجمًا مع شخصيّته إذ استعمل كلمة تصف الفعل، قائلاً: **المسيح... لم يفعل خطيّة (١بطرس ٢: ٢١ و٢٢)**.

ويوحنّا أيضًا كانت له صداقةٌ وثيقة جدًا مع الربِّ يسوع. وعليه، فكثيرًا ما أتيحت له الفرصة لمشاهدة ربِّه بعيدًا عن مراقبة الجموع المتفحِّصة الانتقاديّة. من نقطة الاستشراف هذه المميِّزة، شهد يوحنّا بصريح العبارة: **ليس فيه (في الربِّ يسوع) خطيّة (١يوحنّا ٣: ٥)**.

أمّا بولس فقد عُرف بأنّه علاَّمة ذو شهرة استثنائيّة إلى حدٍّ بعيد. وعلى ذلك، فلمّا تكلّم بولس – رجُل البحث والمعرفة – عن الربِّ

يسوع، لا يُدهشنا أنَّه صرَّح قائلاً: **لم يعرف خطيَّة (٢كورنثوس ٥: ٢١)**.

إنَّ هذه الشهادة الأصليّة الثلاثيّة بشأن حياة المسيح الخالية من أيِّ أثر للخطيّة لمؤثِّرة حقًّا! غير أنَّ بعضًا قد يرغبون في صرف النظر عن هذه الملاحظات الواضحة قائلين: «آهَه! لا اللصُّ المحتضر ولا الرسُل بطرس ويوحنا وبولس يمكن وصفْهم بأنَّهم شهود موضوعيُّون. فاللصُّ المحتضَر كان رجلاً يائسًا، والرسل كانوا متغرِّضين من جرّاء تكرُّسهم للربِّ يسوع.» حسنًا، فما القول في بيلاطس البنطيّ، حاكم اليهوديّة الرومانيّ؟ إنّه يقينًا لم يكن صديقًا للمسيح. ومع ذلك، ففي معرض ردِّه على مُتَّهِمي يسوع الذين لفَّقوا عليه تهمًا باطلة بقصد ضمان موته، أعلن قائلاً: **ها أنا قد فحصتُ قدّامكم ولم أجد في هذا الإنسان علَّة ممّا تشتكون به عليه (لوقا ٢٣: ١٤)**.

ولكنْ ما هذه الشهادات البشريّة كلُّها إذا قورنت بما أعلنه الله الآب من عرشه في السماء؟ فعندما يكون شخصٌ ما على وشك التكلُّم في اجتماع عامّ، يُعَدُّ صحيحًا ولائقًا أنَّ يُعرَّف به في أدب. وهكذا، إذ كان الربُّ يسوع على وشك أن يباشر خدمته الجهاريّة، احتفظ الله الآب لنفسه بامتياز التعريف بابنه المحبوب. فبصوتٍ كالبوق المدوّي من السماء، أعلن الآبُ جهرًا أنْ: **هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت (متّى ٣: ١٧)**.

لقد علم الآب أنَّ يسوع، وهو في هذا العالم بصورة البشر، قد عاش كما خلق الله الإنسان ليعيش. فكلُّ إنسانٍ آخر يشمله القول **الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله (رومية ٣: ٢٣)**. أمّا يسوع فلا! وعليه، فإذ كان يسوع على وشك البدء بخدمته العلنيّة، عرَّف به أبوه، فكان **الآب**

القدوس (يوحنّا ١٧ : ١١) مَن عبَّر عن سروره الكلِّيِّ بالطريقة التي بها عاش ابنُه الحبيب.

وكما سبق أن شرحنا، لم يكن الربُّ يسوع قطُّ أقلَّ من الله إطلاقًا. فمن المهيب إذًا أن ندرك أنَّ الله قد اتَّضع، وإذ تنازل حتَّى وُلِد من رحم أُمٍّ عذراء، اتّخذ لنفسه صورة البشر. ولكنْ لو لم يكن المسيح، بوصفه إنسانًا، خاضعًا لأبيه السماويّ خضوعًا تامًا في كلِّ شيء، ما كان ليأتي إلى أبيه بالمسرَّة الخالصة. إلاّ أنَّ الربَّ يسوع، طيلة حياته على هذه الأرض، كان في كلِّ حين مطيعًا لأبيه ومتوكِّلاً عليه. وبذلك كان ناسوتُه التعبيرَ الأرضيّ عن قداسة أبيه السماويّ ومحبَّته ومقاصده في عالمٍ يُعاني الألَم والأنانيّة والخطيّة.

بلى، إنَّ يسوع بصفته إنسانًا قد مشى على الكوكب ذاته الذي خلقه بصفته الله. ومع أنَّ الربَّ يسوع ما كان قطُّ أقلَّ من الله، فعلى مدى ثلاث وثلاثين سنة أظهر للإنسان كيف قصد الله أن يعيش الإنسان. فلا شيء في بشريّة يسوع خالف قطُّ ما قد خلق الله الإنسان ليكونه. وفي أثناء تلك السنين، كان يسوع دائمًا بين يَدَي أبيه السماويّ، حاضرًا وخاضعًا إلى التمام. لذلك كان سرور الآب فائقًا إذ حدَّق إلى ابنه الحبيب الذي عاش بوصفه الإنسان الكامل بين الناس.

بلا ذنْب! بلا خطيّة! كامل! ففي نظر اللصِّ المحتضَر وبيلاطس البنطيّ، وفي نظر الآب السماويّ، كان كاملاً. بلا ذنْب! بلا خطيّة! كامل!... ومع ذلك فقد مات: مات لأجلنا بسبب محبَّته العظيمة لكلِّ واحدٍ منّا!

محبّة بلا حدود

حاولِ الآن، بخيالك، أن تنضمَّ إلى أولئك المشاهدين الذين عاينوا أحداث يوم الصَّلْب الرهيب. في يوم الجمعة ذاك، حوالَي الصليب، ذُهلت الجماهير. فإذ شاهدوا المنظر المروِّع، واجههم مشهدٌ صاعق ينطوي على مباينة تُجمِّد الدم في العروق.

فعلى كِلا جانبَي يسوع عُلِّق مجرم. وهذان الرجلان كلاهما كانا مذنبَين في نظر إخوانهم البشر، وكلاهما كانا مذنبَين أمام الله خالقهما. وكانت عقوبة الموت لكليهما مطلوبةً حسب قانون البلد.

بين هذين الرجُلين عُلِّق يسوع على صليبه الخاصّ. وفي مباينة جليّة مع اللصَّين، لم يكن يسوع فقط بلا ذنْب وبلا خطيّة أمام الناس، بل كان أيضًا كاملاً أمام أبيه القدّوس. نعم، **إنَّ الله... في المسيح (٢كورنثوس ٥: ١٩)** مضى إلى الصليب كحَمَل **بلا عيب ولا دنس (١بطرس ١: ١٩)**، وموتُ المسيح البديليُّ عن الخطاة كان طوعيًّا بفضل قلب الله العامِر بالمحبّة. كان واجبًا أن يموت اللصّان. أمّا الربُّ يسوع فمات، بكلِّ يقين. وفي وقتٍ سابق، إذ خاطب الربُّ يسوع منتقديه، أكَّد قائلاً: **أضع نفسي لآخذها أيضًا. ليس أحد يأخذها منّي، بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن اضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضًا (يوحنّا ١٠: ١٧ و١٨)**. وإذ فسّر لتلاميذه إلى أيّ مدًى ستصل محبّته عمّا قريب، قال: **ليس لأحد حبٌّ أعظم من هذا. أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبّائه (يوحنّا ١٥: ١٣)**.

ثُمَّ بعد موت الربِّ يسوع وقيامته أكَّد الرسول بولس أيضًا أنَّ الله كان

في المسيح، **وأنَّ الله جعل (المسيح) الذي لم يعرف خطيّة خطيّة لأجلنا، لنصير نحنُ برّ الله فيه (٢ كورنثوس ٥: ٢١)**. وبعد قرونٍ عديدة، عبَّر أحدهم عن الحقيقة العجيبة المتمثِّلة في موت المسيح من أجل خطايانا، بالكلمات المختارة التالية:

أنتَ يا ربُّ برِّي،
وأنا كنت خطيَّتك.
لقد أخذتَ ما كان لي،
وأعطيتني ما كان لك.
أنتَ صرتَ ما لم تكُن،
حتّى أصيرَ أنا ما لم أكُن.

حبّة حنطة

إذ كان الـربُّ يسوع عالِمًا كلَّ العلم بموته الوشيك، فتح قلبه لتلاميذه قائلاً:

الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول؟ أيُّها الآب نجّني من هذه الساعة؟ ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة. أيُّها الآب، مجِّد اسمك وإزاءِ هذا التكريس لمجد الله من كلِّ القلب، جاوب الآبُ بحنان: **مجّدتُ، وأمجّد أيضًا (يوحنّا ١٢: ٢٧ و٢٨).**

ولكنّك قد تسأل: كيف يمكن أن يتمجّد الآب في مشهدٍ دامٍ مثل الصلب الرومانيّ؟

قبلما صلّى الربُّ يسوع إلى الآب، كان قد ذكَّر تلاميذه أنّه من الضروريِّ أن تموت حبَّة الحنطة المزروعة حتّى يُجنى حصاد:

الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إن لم تقع حبّة الحنطة في الأرض وتمُت، فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير (يوحنّا ١٢: ٢٤).

فإذ كان الربُّ يسوع إنسانًا بلا خطيّة، لم يكُن للموت سلطانٌ عليه. غير أنّه اختار أن يموت طائعًا، أن يموت موتًا قاسيًا، بديلاً عنك وعنّي في خطايانا. وبهذه الطريقة سوف يجني حصادًا أبديًّا قوامه مفديُّو العصور كلِّها. وهكذا يكشف الربّ يسوع – في آنٍ واحد – خُطّته، فيما يقدّم أيضًا وعده لكلِّ مؤمن حقيقيّ. خطّته: **خرجتُ من عند الآب، وقد أتيتُ إلى العالم؛ وأيضاً أترك العالم، وأذهب إلى الآب.** وعدُه: **آتي أيضًا، وآخذكم إليّ، حتّى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا (يوحنّا ١٦: ٢٨؛ ١٤: ٣).**

يا له من أمرٍ عجيب! ولكنْ مهما قد يبدو أمرًا لا يُصدَّق، فإنَّ مِن الناس مَن يختارون أن يرفضوا الغفران الذي يقدِّمه المخلّص لهم، على الرغم من محبَّته المُدهِشة لهم. وآخرون يظلُّون خاملين وحياديِّين حيال موته. ولكنْ سواءٌ رفض الناس المخلِّص فعلاً أم تجاهلوه تهاوُنًا، تبقى النتيجة هي إيّاها، ألا وهي الانفصال إلى الأبد عن ينبوع الحياة الأبديّة الوحيد، عن النور الأبديّ والمحبّة الأبديّة. هذه الحالة المهولة وُضعت بالكلمات التالية:

مائتًا ستموت موتًا،
ستموتُ موتًا ما أشدَّ هوله،
تموت موتًا أبديًّا،

تظلُّ مائتًا إلى الأبد،
ومع ذلك لا تموت أبدًا.

على أنَّ الربَّ يسوع قد مات ليس فقط لمنعك من الذهاب إلى الجحيم وإدخالك إلى السماء، بل أيضًا للإتيان بالله من السماء وإدخاله إلى لبِّ كيانك!

لا، ليست الحياة الأبديّة فقط التيقُّن بمستقبلي في السماء. فالكتاب المقدّس يؤكّد أيضًا للمؤمن الحقيقي أنَّ الحياة الأبديّة حقيقيةٌ حيَّة راهنة مجيدة. وذلك **أنَّ الله أعطانا حياة أبديّة، وهذه الحياة هي في ابنه. مَن له الإبن، فله الحياة؛ ومَن ليس له ابنُ الله، فليست له الحياة**... **(١ يوحنّا ٥: ١١ و١٢)**.

فالحياة الأبديّة شخص. إنّها الربُّ يسوع المسيح. وحين يُقيم مسكنًا له في قلب الإنسان، ففي تلك اللحظة بالذات تبدأ الحياة الأبديّة.

كلفة هائلة

في صليب المسيح، تلاقت قداسة الله وعدالة الله ومحبّة الله جميعًا في فعل تضحيةٍ واحدٍ فائق. فهنالك تزكّت قداسة الله، وعدالتُه اكتفت؛ وهنالك طوَّقت محبّة الله أناسًا خُطاة، مثلي ومثلك. إلاّ أنَّ الثمن الذي دفعه الله كان هائلاً.

قدَّم «أُزوالد تشامبرز»، في كتاب التأمُّلات اليوميّة الذي ألَّفه بعنوان «أقصاي لأجل أسْماهُ»، التحذير المفيد التالي: حذار الرأيَ السارَّ في أبوّة الله والذي يقول: «الله لطيف ومُحِبّ جدًا حتّى إنّه لا بدَّ أن يصفح عنّا

بطبيعة الحال.» فليس لهذه المقولة أيُّ موضع على الإطلاق في العهد الجديد. إذ إنَّ الأساس الوحيد الذي عليه يمكن أن يغفر لنا الله ويردَّنا إلى رضاه هو بواسطة صليب المسيح، وليس بأيّة طريقة أخرى. حتّى إنّنا، ولو كنّا نفهم هذا على أنّه حقّ، قد ننظر إلى غفران لخطايا بعين بساطة الإيمان ثمَّ ننسى الكلفة الفائقة التي بذلها الله لكي يصير الغفران من نصيبنا.

ومع أنّنا ذكرنا سابقًا فعل التضحية الغيريَّ الذي قام به «وِلي هُلْط»، فليس بالحقيقة من مُوازٍ بشريّ للمعاناة التي احتملها الله في الجلجثة يصلح إيضاحًا يُضاهي محبّته لنا. إنّما من خلال الكلمة التي أوحى بها الروح القدس، والتي ندعوها الكتاب المقدّس، يُزيح الله ستارته الخاصَّة ليُعطينا لمحة أوفى على هذه المحبّة الباذلة المضحّية. ولكنْ حتّى في هذه الحال، فإنَّ مقدار محبَّة الله يفوق بكثيرٍ طاقةَ استيعابنا المحدودة. غير أنّنا إذ نتأمّل فعل المحبّة هذا المذهل نستطيع أن نشرع في تقدير مقدارٍ يسير من طول محبّة الله وعرضها وعلوها وعمقها.

لمّا مات المسيح على الصليب، تألّم من أجل خطايانا بطريقة ثُلاثية.

فعلى الصليب تلقّى جسد يسوع آلامًا مبرِّحة. وعلى الصليب بلغت محبّته أقصاها. وما هو أكثر سحقًا بعدُ أنّه على الصليب حجب الله الآب وجهه عن المسيح. بلى، إنَّ الآلام التي كابدها الربُّ يسوع تفوق حقًّا إدراكنا البشري!

ولكنّنا إذ نتأمَّل آلامه الجسديّة وآلامه النفسيّة، وآلامه الروحيّة خصوصًا، نُقدِّر بطريقةٍ جديدةٍ عِظَم محبَّته للبشر الخطاة الأثمة.

■ **الآلام الجسديّة**: من المستحيل تمامًا أن يُساوى إتلاف لوحة ثمينة جدًا من لوحات «رمبرانْت» مثلاً بتمزيق ورقة متَّسخة. فبالأحرى ألاّ يمكن البتّة أن يُساوى موتُ الإنسان الكامل، يسوع المسيح، ولا أن يُقارَن على نحوٍ وافٍ أيضًا، بموت أيِّ كائن بشريّ آخر.

نجد في العهد القديم نبوّة أنبأت على نحوْ دقيق بالتشويه الجسديّ الذي سوف يتحمّله المسيح. فهنالك يُقال لنا إنَّ منظره سوف يكون **كذا مُفسَدًا أكثر من الرجُل (إشعياء ٥٢: ١٤)**. وبحسب قوّة التعبير العبريِّ الأصليّ، أوضح الله أنَّ ابنه الحبيب سوف يعامَل معاملة وحشيّة جدًا بحيث لا يعود يشبه الكائن البشريّ. وبمثل هذا التشويه لصورة المسيح البشريّة تنبّأ الربُّ يسوع نفسه:

ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وابن الإنسان يُسلَّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة، فيحكمون عليه بالموت، ويسلّمونه إلى الأمم. فيهزأون به ويجلدونه ويتفلون عليه ويقتلونه... (مرقس ١٠: ٣٣ و٣٤).

وهذا هو ما حدث تمامًا! ففي ما بعد وصف مرقس ما قد رآه شهود العيان: **كانوا يضربونه... ويبصقون عليه... وبعدما استهزأوا به... خرجوا به ليصلبوه (مرقس ١٥: ١٩ و٢٠).**

أمّا السَوْط الرومانيُّ الذي مزَّق جسد المخلّص فقد كان مصنوعًا من سيور مُثقّلة بقطع حادَّة من العظام أو الرصاص. وقد مزَّقت هذه لحمه على ظهره وعلى صدره معًا. ناهيك بجراحات الصليب: لهذا جاءت في المزمور الثاني والعشرين نبوّة بلسان المسيح تقول: **ثقبوا يديَّ ورجليَّ، أُحصي كلَّ عظامي، وهم ينظرون ويتفرَّسون فيَّ (مزمور٢٢: ١٦ و١٧).**

نعم، إنّ الربَّ يسوع، الكاملَ من كلِّ وجه، مضى إلى موتٍ مؤلم ومعذبٍ حتّى إنَّ التشويه الجسديّ الفظَّ الذي كابده جعل منظره الجسماني بالفعل بعيدًا عن الصورةِ البشريّة المعهودة.

أيُساعدك هذا بصورة أفضل على أن تفهم كم يحبُّك الله؟

■ **الآلام النفسيّة**: لئن كانت الآلام الجسديّة التي عاناها الربُّ يسوع مصلوبًا خارج نطاق إدراكنا البشريّ، فإنّها لم تكن إلاّ جزءًا من معاناته الحقيقيّة. إذ إنَّ آلامه الجسديّة مسَّت فقط سطح عذابه العميقِ الغور.

فعلى الصليب، عانى يسوع أيضًا آلاماً نفسيّة رهيبة. وقد سجَّل لنا يوحنّا أحداث تلك الساعات الراعبة:

وأمّا يسوع، فلمّا جاؤوا إليه (أي الجنود الرومانيُّون) لم يكسروا ساقيه، لانّهم رأوه قد مات. لكنَّ واحدًا من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دمٌ وماء (يوحنّا ١٩: ٣٣ و٣٤).

وقد سمعتُ خُبراءَ ثقاتٍ بالطبّ يعبّرون عن اعتقادهم أنَّ وجود الدم والماء معًا يدلُّ على أنَّ الربَّ يسوع مات بانفطار القلب. ويوضّح بعض المختصِّين بطبِّ القلب أيضًا هذه الظاهرة، مُرتئين أنّه لمّا انفطر قلب يسوع فعلاً تدفّق دمه إلى داخل كيس غشاء القلب المحيط به والمتضخِّم. ومن شأن هذا أن يُفسِّر حقيقة خروج الدم والماء معًا لدى طعن الجِنديّ جنبّ المخلِّص. وفي المزمور التاسع والستّين، من جُملة نبوّاتٍ أخرى دقيقة عن موتِ المسيح، نقرأ إنباءً نبويًّا بضربته التي فطرت قلبه حرفيًّا: **العار قد كسر قلبي، فمرضتُ (مزمور٦٩: ٢٠)**. نعم،

إنَّ المعاناة النفسيّة التي لا توصف والتي كابدها المسيح قد «كسرت» فعلاً قلبه المُحِبّ.

فحينما اجتاحت قلبَ الربِّ يسوع الرقيقَ سيولُ معاناة الجنس البشريِّ بكاملها، وحينما طمت قذارةُ جهنَّم بالذات، غيرُ المتصوَّرة وغيرُ الممكن التعبيرُ عنها، على نفسه البريئة من أيِّ عيب – نفس ذاك الذي كان منفصلاً عن الخطاة (عبرانيين ٧: ٢٦) – حينئذٍ مات بانفطار القلب!

أيُساعِدك هذا بصورة أفضل على أن تفهم كم يحبُّك الله؟

■ **الآلام الروحيَّة**: يستطيع معظم الناس أن يتفهَّموا الآلام الجسديّة والنفسيّة التي تحمّلها الربُّ يسوع بأيسرَ ممّا يستطيعون تفهُّم عذابه الروحيّ. ومع ذلك فإنَّ المعاناة الكبرى التي كابدها المسيح كانت بكلِّ يقين حينما حجب الله الآب وجهه عنه.

فعلى مدى ثلاث ساعات من الظلمة الموحشة – من الثانية عشرة ظهرًا حتَّى الثالثة عصرًا – عانى يسوع التَّرك من قِبل الله الآب والله الروح القدس. في ذلك الحين صرخ يسوع – الله الإبن – بصوتٍ عظيم: **إلهي، إلهي، لماذا تركتَني؟ (متّى ٢٧: ٤٦)**.

في ذلك اليوم المروِّع، انفصم الاتّحاد الثلاثيُّ الكائن في وحدة الله (التي ما برح يشتمل عليها أزليًّا نورٌ لا يوصف)... انفصم من جرّاء خطيّتي وخطيّتك. وهكذا، فلمّا عُلِّق المسيح على الصليب، لم يكن ممكنًا أن يتواجد الله مع الخطيّة التي حملها المسيح بجسده الطاهر

الخالي من أيِّ أثر للخطيّة، وذلك لأنَّ الله **جعل الذي لم يعرف خطيّة خطيّةً لأجلنا... (٢كورنثوس ٥: ١٢)**.

وعلى ذلك، فمن غير المدهش أنّه لمّا مات المسيح خيَّمت على العالم الشرّير ظلمةٌ حالكة مروِّعة طيلة ثلاث ساعات رهيبة.

ما كان للشمس إلاّ أن تتوارى وراء حُجب الظلام،
وأن تُسدِل الستار على أمجادها،
عندما المَسيحُ الخالقُ المقتدرُ
مات من أجل خطيّة الإنسان المخلوق!

إسحاق وَطس (١٦٧٤ – ١٧٤٨)

إنَّ الله نور، وليس فيه ظلمة البتّة (١يوحنّا ١: ٥). فمن غير الممكن أبدًا أن يتواجد نور قداسة الله وظلمة خطيّة الإنسان. وكما يتلاشى الظلام عندما تشعل النور، هكذا يعمُّ الظلام حينما تُطفئ النور. وكان الظلام هو ما ساد لمّا حمل المسيح خطيّة البشريّة الهالكة.

والمؤسف أنَّ هذه الظلمة الروحيّة سوف تكون في الحالة الأبديّة لكلِّ شخص يتحوَّل عن نور محبّة الله المفتدية. ظلمةٌ أشدُّ سوادًا من نصف الليل، وأكثر وحشةً من الحبس الانفرادي، وأطول من الزمان ذاته. ذلك لأن هذه هي الدينونة: **أنَّ النور جاء إلى العالم، وأحبَّ الناس الظلمة أكثر من النور لأنّ أعمالهم كانت شريرة (يوحنّا ٣: ١٩)**.

فإنَّ التحوُّل عن الربِّ يسوع يُنتج ظلمة روحيّة وموتًا... موتًا روحيًّا وموتًا أبديًّا. أمّا التحوُّل إلى الربِّ يسوع فيُنتج حياةً... حياة روحيّة وحياة أبديّة!

هتافُ المُنتصِر

الخبر الطيّب هو أنّه إذ وافت ساعات الظلمة هذه الثلاثُ الموحشة نهايتَها، لم يتحسَّر الربُّ يسوع شاكيًا باكيًا، قائلاً: «قد قُضيَ علي!» طبعًا، لم يفعل ذلك! فإنَّ عمل المحبّة في الفداء قد أنجز. ولذلك هتف المسيح الآن قائلاً: «قد قُضيَ الأمر!» **قد أكمل (يوحنّا ١٩: ٣٠)**.

إنَّ عقوبة خطيّتي وخطيّتك قد أُدِّيت كاملةً. لقد قُضيَ الأمر!

عندئذٍ، إذ أنجز الربُّ يسوع عمله الفدائيَّ، رُدَّت إلى الأبد شركةُ النور السرمديّة التي كان قد تمتّع بها منذ الأزل في اللاهوت المثلّث الأقانيم (يوحنّا ١٧: ٥). فالآن لم يبقَ لك أو لي أيُّ شيء نفعله ثمنًا للخطيّة. وليس من شيءٍ على الإطلاق يستطيع الشيطان أن يفعله لإبطال العمل الذي أكمله المسيح نيابةً عنك. فإنَّ لدغة الشيطان، الحيّةِ القديمة، قد نُزعت شوكتُها!

الموت يهزم أمير الموت

إنَّ سبب ارتداء الله ثوب «اللحم والدم» لم يكن فقط حتّى يموت عن خطيّتي وخطيّتك، بل كان أيضًا لكي **يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس (عبرانيين ٢: ١٤)**.

فكما استعمل داود سيف جُليات بذاته ليُجهِز على جُليات المصعوق،

هكذا استلَّ الربُّ يسوع سيف الشيطان بعينه، أي الموت، واستخدمه كي يهزم الشيطان هزيمة ساحقة. إنَّ الربَّ يسوع هو المُحرِّر الحقيقيُّ للإنسان، رجُلاً كان أو امرأة. إنّه المُنقِذ الإلهيّ، الوحيدُ القادر على تحرير الناس من الموت الأبديّ والعبوديّة الروحيّة، العبوديّة التي نواها الشيطان لكلِّ إنسان، إذ تمرَّد على الله خالق البشر على صورته.

بجسد يسوع البشريِّ، ذي اللحم الحقيقيّ والعظم الحقيقيّ، هزم يسوع الشيطان وقهر الموت وقام من القبر حيًّا. ثُمَّ نقرأ عن صعود المسيح إلى السماء، حيث **دخل يسوع كسابقٍ لأجلنا (عبرانيين ٦: ٢٠)**. فأوَّلَ مرَّة دخل السماءَ إنسان، إنسانٌ بلا ذنْب، بلا خطيّة، كامل! وبسبب موته على الصليب، قد فتح الطريق الآن كي يتبعه آخرون.

وقد كان «تشارلز وسلي» في زمانه مقتنعًا بأنّ الله حقًّا أحبّه فعلاً، إذ عبَّر عن ذلك بالكلمات التالية: «حبٌّ عجيب؛ كيف يكون، أنك أنت، يا إلهي، عنّي تموت؟»

أمّا الآن فالمسيحُ مُقام!

ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات، وصار باكورة الراقدين. فإنّه إذ الموتُ بإنسان، بإنسانٍ أيضًا قيامة الأموات (١كورنثوس ١٥: ٢٠ و٢١).

كان الراحل الدكتور «سانغْستر» واحدًا من أبرع الخطباء الذين سمعتُهم يومًا. وكان يبهجه أن يستخدم لسانه البليغ للإشادة بربِّه ومخلِّصه يسوع المسيح. ولكن من العجيب أنَّ الدكتور «سانغْستر»،

قبل وفاته، لم يعُد قادرًا على نطق كلمةٍ واحدة من جرّاء السرطان الذي أصاب فمه. فقُبيل انطلاقه إلى السماء، أومأ لابنته أن تُحضِر له قلمًا وورقة. وفي صبيحة ذاك الأحد المصادف عيد القيامة، خطَّ «سانغْستر» هذه العبارة: «ألاّ يكون لي لسان ويكون لي شوقٌ شديدٌ جدًا لأن أهتف «المسيح قام!» خيرٌ من أن يكون لي لسان بغير شوقٍ إلى الهتاف!»

ولمّا مثل الرسول بولس أمام الملك أغريباس للدفاع عن نفسه في وجه التُهَم الباطلة، لفت انتباه الحضور إلى آلام المسيح وقيامته في الوقت عينه قائلاً: **إن يؤلَّم المسيح، يكن هو أول قيامة الأموات، مزمعًا أن يُناديَ بنورٍ للشعب**... (**أعمال ٢٦: ٢٣**).

ولكنْ قبل قيامة الربِّ يسوع من الموت، سجَّل كتاب العهد الجديد أنَّ أشخاصًا آخرين أقيموا بأجسادهم من بين الأموات، وقد ذكر على الخصوص لعازر وابنة يايرس وابن أرملة نايين. ومع أنَّ المسيح ردَّ حياة الجسد إلى هؤلاء على نحوٍ معجزيّ، فقد ماتوا جميعًا في غضون سنين قليلة. ولكنَّ حال الربِّ يسوع المسيح ليست على هذا المنوال. فهو اليوم ليس حيًّا بالجسد فقط، بل أيضًا حيٌّ روحيًّا وحيٌّ أبديًّا. ولقد كان بالحقيقة أوّل شخصٍ يقوم من بين الأموات هكذا!

كيف يُعقل أنَّ قبر موتٍ وفساد يحبس خالقَ الحياة؟ لأنَّ الربَّ يسوع المسيح هو الإله الخالق، فقد أحدث الحياة من العَدَم. ولأنَّ المسيح، بصفته الإنسان الكامل، هو الإله المُخلِّص، فقد خرج حيًّا من القبر وكان رائد الطريق إلى السماء لكلِّ إنسانٍ يَقبلهُ بالإيمان. وهاك الوعدَ لهؤلاء:

الله، الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبّته الكثيرة التي أحبّنا بها، ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح (بالنعمة أنتم مخلَّصون)! وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع (أفسس ٢: ٤-٦).

وفي سياق ما كتبه الرسول بولس إلى مؤمني مدينة كورنثوس، ذكّرهم بأنّهم قد خُلِّصوا من عواقب خطيَّتهم لأنّهم «قبلوا» (صدّقوا ولزموا وأقرّوا واستقرّوا على...) **أنَّ المسيح مات من أجل خطايانا، حسب الكتب (المقدّسة)، وأنّه دُفن، وأنّه قام في اليوم الثالث، حسب الكتب (١كورنثوس ١٥: ٣ و٤).** واليوم، كلُّ مؤمن حقيقيّ يستريح على هذه الحقيقة المجيدة، إذ لسانُ حاله: «المسيح مات من أجل خطاياي، ثمَّ قام حيًّا، وهو يعطيني حياة جديدة في شخصه.»

من اليوم الأوَّل إلى اليوم الثالث

لعلّك تسأل الآن: «ماذا جرى للربِّ يسوع بين الوقت الذي صُلب فيه والوقت الذي فيه قام من القبر في اليوم الثالث؟» توقُّعًا لهذا السؤال، أفصح الله عن الجواب:

وأمّا أنَّه صعد، فما هو إلاّ أنّه نزل أيضًا أوَّلاً إلى أقسام الأرض السُفلى. الذي نزل هو الذي صعد أيضًا فوق جميع السماوات، لكي يملأ الكُلَّ (أفسس ٤: ٩ و١٠).

نعم، يقول لنا الكتاب المقدّس إنَّ الربَّ يسوع المسيح، قبل صعوده إلى السماء، قد نزل فعلاً إلى أقسام الأرض السُفلى. وبعد ذلك صعد إلى

السماء، رائدًا لقدّيسي العهد القديم (الذين ماتوا مؤمنين) في موكب نصرته. واليوم، كلُّ مؤمن حقيقيّ سعيدٌ بيقينه أنَّ باب الموت هو بالحقيقة بوّابة المجد. فعلى نحوٍ عجيبٍ مُعجِز، انتصر المسيح نفسُه على الموت الجسديّ والموتِ الروحيّ كليهما نيابةً عنّا:

أين شوكتك يا موت؟ أين غَلَبَتُكِ يا هاوية؟ أمّا شوكة الموت فهي الخطيّة، وقوّة الخطيّة هي الناموس. ولكنْ شكرًا لله الذي يعطينا الغلبة بربِّنا يسوع المسيح (١كورنثوس ١٥: ٥٥-٥٧).

مُلحق: تركة محبَّته

ما أعجب أن نعرف أنَّ الربَّ يسوع قد كان رائد الطريق إلى السماء وأنَّ في وسعنا أن نتبعه في موكبه الظافر!

وما أعجب أن نعرف أيضًا أنّه قبل موته، حُبًّا بخاصَّته، وعد بأنّه بعد صعوده إلى السماء سيُرسل الروح القدس إلى المؤمنين على الأرض!

فلتلاميذه قال: **مَن آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حيّ. قال هذا عنِ الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأنَّ الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد، لأنَّ يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد (يوحنّا ٧: ٣٨ و٣٩).**

وأمّا الآن، فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني... وأنا أطلب من الآب، فيعطيكم معزّيًا آخر... ولكن إن ذهبتُ أرسلُه إليكم... ذاك يمجّدني (يوحنّا ١٦: ٥؛ ١٤: ١ و١٧؛ ١٦: ٧،١٤).

سبق أن رأينا كيف تمجّد الله في موت ابنه. والآن قد تسأل: «كيف يمكن أن يتمجّد المسيح بإرسال الروح القدس إليّ وإليك؟»

يَلقَى هذا السؤال إجابةً جزئيّة في حقيقة كون المسيح يتمجَّد في حياة كلِّ مؤمن تفيض من خلاله محبّة الله. إذ نقرأ أنَّ **محبّة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا (رومية ٥:٥)**. فإنَّ محبّة الله الساكنة فينا، وقد جعلها الروح القدس حقيقة واقعة، تسمو بما لا يُقاس على أعلى قِمم الانجذاب أو الحبِّ البشريّ. فإذ تُتجاوب بالإيمان مع عمل الربِّ يسوع الكامل على الصليب، فإنّه – في أقنوم الروح القدس – يبدأ يحبُّ الناس الآخرين من خلالك. ويا لروعة هذا!

وأن تؤمن بأنَّ المسيح مات من أجل خطاياك، ثُمَّ أن ترفع التشكُّرات في قلبك لأجل هذه الحقيقة، لِما يُمتِّعك باليقين الشخصيّ بغفران الله ومحبَّته المخلِّصة. ثُمَّ أن تجعل حياتك في مُتناول حضور الربِّ يسوع المسيح الساكن فيك (بالروح القدس) لِمَّا يُصيِّرك قناةً من قنوات محبَّته إلى عالم يفتقر إلى المحبّة.

سُئل مرَّة لاهوتيٌّ ألمانيّ، مشهورٌ بغزارة علمه، هذا السؤال: «ما هي أعمق فكرة لديك عن الله؟» فتعجَّب السائل إذ أجابه ذلك العالِم بكلمات قرارٍ يردّده الصغار: «يسوع يحبُّني؛ وهذا أعلمهُ، إذِ الكتابُ المقدّس لي يقولُهُ!»

نعم، حقًّا يحبُّني الله! ونعم، حقًا يحبُّك الله فعلاً!

ما أروع الحبَّ الذي رسم خُطَّة الخلاص!
ما أعظم النعمة التي أتت به للإنسان!
ما أعمق الهوَّة التي سدَّها إلهُنا،
فوق صليب الجلجثة!
قد كانت الرحمة هناك عظيمةً جدًّا؛
قد كانت النعمة هناك سخيَّة حقًّا.
هنالك إلهُنا قد كثَّر ليَ الغُفران،
هنالك قد حُرِّرت نفسي من أثقل الأحمال،
فوق صليب الجلجثة.

رسالة من الشرق

نشأتُ في عائلة متديّنة علّمتني الصلاة والصوم، وفرضت عليَّ ارتداء الحجاب، حتّى لا يُخطئ أيُّ رجُل إذا رأى وجهي.

وبسبب ملازمتي البيت، توافر لي كثير من الوقت دون أن يكون لي ما أقوم به. وهكذا أمضيت وقت فراغي مستمعةً إلى كثير من البرامج الإذاعيّة، وسمعت كثيرًا من الرسائل المتمحورة حول الكتاب المقدّس. وذات يوم رأيت زوجة أخي تحمل بعض الملصقات الزاهية الألوان. وهكذا كتبت رسالتي الأولى مستخدمة عنوان زوجة أخي. فجاءني جوابكم ومعه كتابكم «بحثك عن الله».

حاولت أن أفهم معنى البحث عن الله. وكان في الفصل السابع سؤال: «أحقًّا يحبُّني الله؟» فتوقّفت خصوصًا عند الفقرة التي تقول: «برهن الله محبَّته لك بما فعله لمّا مات المسيح على الصليب. وعندما تدرك مغزى ذلك، لا تعود تحتاج إلى تفسير آخر يساعدك على إدراك كون الله يحبُّك حقًّا بالفعل.»

قرأتُ هذا الفصل أكثر من مئة مرّة. ثمَّ بدأتَ أُدرِكُ بغير أيِّ شكّ أنَّ صليب المسيح كان الطريق الوحيد لي.

– من تقرير قدَّمته «إذاعة حول العالم» –

وقفة تأمُّل

١ ما هي أفضل طريقة لتبرهن أنّك تحبُّ شخصًا ما؟
أهي بما تقوله؟
أم هي بما تفعله؟

٢ كيف برهن الله محبّته لك؟

٣ كيف ستتجاوب شخصيًا مع محبّة الله؟

وسط الجوّ المكهرب داخل غرفة العمليّات، يتعلّم كلُّ جرّاح أن يوحّد بين الدم والحياة. فالاثنان متلازمان، بحيث إذا فقدتَ أحدهما تفقدهما كليهما.

– الدكتور بول براند –

أين يمكنني أن أجد الحياة؟

كانت ساعة منتصف الليل تقترب بسرعة، في وسط رحلة مضنية بالقطار مدَّتها ثماني عشرة ساعة، وكنتُ أنا وزوجتي مع مئات المسافرين الآخرين في محطّة «غار سانلازار» لسكّة الحديد في باريس. وقد انتظرنا جميعًا بصبر أن يفتح موظّف السكّة حاجز البطاقات ويدعنا نتقدّم إلى قطارنا.

كانت الغالبيّة العظمى من الذين حولنا في عمر الشباب. وإذ اختلطنا بهم، أنا و«دوروثي»، بدا لنا أنَّ كلَّ بلد في أوروبا كان ممثَّلاً في ذلك الجمع. وحاول بعض الشبّان والصبايا أن يأخذوا سِنَةً من النوم، مستعملين حقائبهم البسيطة بدائل من الوسائد المريحة. وفيما استلقوا على الرصيف الحجريّ، وقف أصدقاؤهم يحرسونهم وهم يقضمون سندويشًا أو يرشفون قنّينة ماء.

وفي أثناء انتظارنا، تجاذبْنا أطراف الحديث وتضاحكنا مع عددٍ من هؤلاء الشباب. وعلى الرغم من مرحهم الشبابيّ، فعند إسقاط المظاهر تبيّن أنَّ معظمهم يعون أنّهم لم يجدوا بعد تلك «الحياة» السرابيّة التي كانوا يبحثون عنها. فلم يمضِ وقت طويل حتّى تحوَّل حديثنا إلى الشخص الذي كان مسافرًا معي ومع «دوروثي»، إلى الربِّ يسوع المسيح!

وفي مجرى الحديث، فتح بعض هؤلاء الشباب والصبايا المضطربين والمغامرين قلوبهم وأطلعونا على شوقهم لأنْ يجدوا الحياة «الحقيقيّة». وقد ظنَّ بعضهم أنَّهم سيعثرون عليها في المدينة التالية، فيما ظنَّ بعضهم أنهّم واجِدوها في الصداقة التالية، وآخرون اعتقدوا بلا حياء أنّهم سيوسِّعون اختبارهم في الحياة بالمزيج التالي من المخدِّرات أو حفلة السكر المُقبِلة. وكان بعضٌ منهم قَلِقين جدًّا من جرّاء خوفهم من الإصابة بمرضٍ مُميت.

في القرى الإفريقيّة النائية، يدعون هذا الوباء المهول «داء الرجل النحيل». وبلغة الطبّ، يُشخَّص على أنّه إصابة ثابتة بفيروس «آيتش آي في» (HIV) وعندما يكتمل تطوُّره في رجُلٍ أو امرأة، أو صبيٍّ أو بنت، يُعرَف بمرض «السيدا».

ويكون وقع الخبر المروّع بالتقاط هذا المرض هو إيّاه دائمًا: دمارًا فوريًّا وكليًّا! وحول العالم، يعرف الناس أنَّ بلوى «السيدا» الرهيبة هي من «أمراض الدم». فبينما ينبغي أن يكون دفق الدم نهر حياةٍ مطهِّرًا، يصير نهر موتٍ ملوَّنًا.

ينبغي لي أن أعترف بأنَّ منظر الدم ما انفكَّ يثير فيَّ الغثيان، وإن كان الدمُ تيّارًا مُحييًا حيويًّا. وبالحقيقة أنّني، في محاولة جريئة للتغلُّب على هذه الفوبيا لديَّ، لبَّيتُ مرَّةً دعوة لمشاهدة عمليَّة جراحيّة من على منصّة مراقبة في أحد مستشفيات لندن. وإذ أحدث المبضع شقًّا في بشرة المريض، كاد يُغمى عليَّ ايضًا. فما كان من صديقي الطبيب،

إذ لاحظ أنّني أتصبَّب عرقًا وقد اعتراني الشحوب، إلاّ أن أشار عليَّ بالخروج من غرفة المشاهدة. وما كنتُ بحاجةٍ إلى مزيدٍ من الإقناع!

ولكنْ بغضِّ النظر عن ردّة فعل المرء تجاه الدم، يمكن للمُصاب بنزيف دمويّ حادّ أن يستعيد الصحّة والحياة بإجراء نقل دم له. فاليوم، بفضل عجائب العلم الحديث، بات ممكنًا للدم المأخوذ من عروق إنسانٍ سليم أن يُدخَل في ما بعدُ نهرًا مُحييًا إلى عروق مريضٍ مُحتضَر أو مصاب بمرضٍ خطير.

وقبل زمن طويل من شروع البحث الطبيّ في كشف عجائب الدم وأسراره، أعلن الله نفسُه قائلاً: **لأنَّ نفس الجسد هي في الدم**... (**لاويّين ١٧: ١١**). ويقرُّ الدكتور «بول براند» على نحو بليغ بأنَّ في الدم جوهَر الحياة، إذ يقول: «وسط الجوِّ المكهرب داخل غرفة العمليّات، يتعلّم كلُّ جرّاح أن يوحِّد بينِ الدم والحياة. فالاثنان متلازمان، بحيث إذا فقدتَ أحدهما تفقدهما كليهما.»

غير أنَّ كثيرين لا يعلمون أنّه وإنْ كانت مُلوِّثات الدم من قبيل الإصابة بفيروس «آيتش آي في» انتقائيّة، تبعًا للتعرُّض لها، فهنالك «وباءٌ» آخر شاملٌ لجميع البشر. فلأنَّ **الله قد صنع من دمٍ واحد كلَّ أُمَّة من الناس يسكنون على كلِّ وجه الأرض** (**أعمال ١٧: ٢٦**)، أصاب تلوُّث الدم هذا الجنس البشريّ بكامله. ويُردُّ أصل هذا التلوُّث، في الكتاب المقدّس، إلى آدم، جدِّ جميع الأجيال المتعاقبة.

فلمّا أخطأ آدم، **الإنسان الأول (١كورنثوس ١٥: ٤٥)**، وقعت تحت حكم الموت جميع الأجيال التالية، مهما كان لون بشرتها، أو مكان إقامتها، أو مركزها في الحياة. وينصُّ الكتاب المقدّس بصريح العبارة أنَّه في **آدم يموت الجميع (١ كورنثوس ١٥: ٤٥)**. نعم، فكما في حال «السيدا» ينتقل الموت إلى الجسم بواسطة الدم الموبوء، هكذا أيضًا جرى تناقُل هذا التلوُّث الناجم عن الخطيَّة من جيلٍ إلى جيل.

ولو لم يكن هذا واقعَ الحال، لذهب الناس مباشرةً إلى السماء دون اجتياز وادي المرض والموت الجسديَّين. غير أنَّ الحال على غير هذا المنوال.

ولكنْ شكرًا لله أنَّه لمّا وُلد المسيح، جيء إلى الجنس البشريّ بتيّار دمٍ يُعطي الحياة. وهاك كيف حدث ذلك... قال الملاك جبرائيل لمريم العذراء إنَّها ستحبل وتلدُ ابنًا، وإنَّ اسمه سيكون «يسوع». كذلك أيضًا وضَّح جبرائيل لهذه العذراء العفيفة غير المتزوِّجة كيف يتمُّ حبَلها:

الروح القدس يحلُّ عليك، وقوَّة العليّ تظلِّلك؛ فلذلك أيضًا القدّوس المولود منكِ يُدعى ابنَ الله (لوقا ١: ٣٥).

لقد حدثت معجزة وكأنّما تلقَّحت بزرةُ المرأة بزرع الروح القدس، إنْ صحَّ التعبير. وبهذا الحدث الجليل جيء بحياة الله إلى الجنس البشريّ. ثُمَّ إذ بدأ الطفل ينمو في بطن مريم، ودار الدم دورته في

الجنين، كان دمه الثمين خلوًا من أيَّة شائبة وأيِّ تلوُّث. نعم، إنَّ دم الربِّ يسوع كان هو الحياة بذاتها![×]

والدم البشريُّ مادَّة معقَّدة على نحوٍ لا يُصدَّق. فحتَّى في يومنا هذا، ما يزال العاملون في البحث الطبّيّ يكتشفون المزيد من أسرار الإحياء الكامنة في هذا السائل العجيب. وبتعابير بسيطة، فإنَّ بعض وظائف الدم في الجسم البشريّ يمكن وصفُها على هذا النحو: تطهير الجسم، توفير الحياة، مقاومة المرض. ومهما بدا هذا مذهلاً، فأعجبُ منه بعد أن تعرف أنَّ الله يَسَّر لك ولي جدول دم له أغراض مماثلة لكن

× في كتاب عنوانه «كيمياء الدم» يقتبس المؤلف «م.ر.دي هانّ» (دكتور في الطبّ) من عدّة منشورات معتبرة، مختصّة بالفيزيولوجيا وطبّ التوليد وطبّ الأطفال، ثم يخلص إلى القول: «إنَّ الامُّ تزوِّد الجنين (الطفل النامي غير المولود) بالعناصر الغذائيّة اللازمة لبنيان ذلك الجسم الصغير في خفاء رحمها، ولكنَّ كلَّ الدم الذي يتكوَّن في الجنين إنَّما يتكوَّن داخل الجنين نفسه. فمن وقت الحَبَل حتّى وقت الولادة، لا تعبر نقطة دم واحدة من الامُّ إلى الطفل.» ولكنَّ الدكتور «روبرت إي كولمان»، في كتابه «مكتوبٌ بالدم» يقول «بغير أن أحاول مناقضة هذا الرأي (أي رأي «دي هان» أنَّ دم الجسد البشريّ يتكوّن في الجنين نفسه بدخول المنيّ، ومن ثمّ فلا اتّصال له مباشرةً بجسم الامُّ) أعتقد أنّه من الإنصاف الإشارة إلى أن أطبّاء آخرين يشكّون جدّيًّا في صوابيّته. ومهما يكن، فبصرف النظر عن الطبيعة البيولوجيّة للوضع، لست أرى أيَّ سبب يدعو لاعتبار القضيَّة مسألة مهمّة. ذلك أنَّ حقيقة كون المسيح قد حُبل به بفعل الله (الروح القُدس) حقيقةٌ تكفي وحدها لإقصاء إمكانيّة انتقال الخطيّة وراثيًّا إلى يسوع عند النظر في الأهميّة التي يُضيفها الكتاب المقدّس على دمه.»

أكثر إعجازًا. وهذا الدم متوافر لجميع الذين يطلبون الحياة الحقيقيّة. فللخاطئ، دم يسوع هو عاملُ التطهير الإلهي من الخطيّة. وللموتى روحيًّا، دم المسيح الثمينُ ينقل الحياة بمعناها الأكمل. وللأحياء روحيًّا، دم الربِّ يسوع هو عامل الحماية الإلهيُّ من هجمات الشيطان. عن هذا الدم الثمين نقرأ:

عالمين أنّكم افتديتم لا بأشياء تفنى، بفضّةٍ أو ذهب، من سيرتكم الباطلة التي تقلّدتموها من الآباء، بل بدمٍ كريم، كما من حملٍ بلا عيب ولا دنس، دمِ المسيح (١بطرس ١: ١٨ و١٩).

الدم: قوّته المطهِّرة

منذ مدّة، نشرت وسائل الإعلام خبرًا مُفاده أنَّ شركة نقل جشعة ساومت بالمتطلبّات الصحيّة. ففي سبيل مضاعفة أرباح، استخدمت هذه الشركة صهريج شاحنة لنقل موادّ سامَّة إلى جهة معيّنة. ومن ثُمَّ استعملت الصهريج نفسه، بصورة غير شرعيّة، لنقل موادّ غذائيّة سائلة في رحلة العودة. وقد أدَّى ذلك إلى إصابة ناسٍ كثيرين بالمرض على نحوٍ خَطِر.

ولكنْ في الجسم البشريّ، صنع الله جهاز نقل عجيبًا يحمل الغذاء إلى الخلايا وفي الوقت عينه ينقّيها من السُموم. وبفضل خَلق الله الكامل لا يحصل أيُّ تلوُّث داخل مجرى الدم. فالعجيب أنَّه ما

من خليَّة في الجسم البشريّ تبعد عن وعاء دم شَعريّ أكثر من عَرض شعرة. وإذا لم تُزَل السموم من هذه الخلايا، تكُون النتيجة الحتميّة هي المرض والموت.

وذلك تمامًا هو ما وصفه الله لمّا شرح طريقته في إزالة حضور الخطيّة الملوِّث من حياتنا. فهذا التطهير يتمُّ فقط بواسطة دم المسيح الثمين:

ولكنْ إن سلكنا في النور، كما هو في النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض، ودم يسوع المسيح ابنه يطهِّرنا من كلِّ خطيّة (١يوحنّا ١: ٧). ثمَّ إنَّ الله قال إنَّه ما من طريقة أخرى يمكن غفران خطايانا بواسطتها، **لأنّه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة (عبرانيين ٩: ٢٢).**

الدم: قوَّته المُحيِية

وظيفة أُخرى للدم هي أن يحمل ما يحتاج إليه الجسم في جميع أجزائه من ماء وغذاء للإبقاء على الحياة. فإنْ لم يصل الدم إلى خلايا الجسم وأنسجته، تموت بِنَى الجسد حالاً. وهكذا يموت الجسد حالما يتوقّف الدم عن الدوران. فبديهيٌّ إذًا أنَّ الحياة هي في الدم.

أمَا وقد أدركْنا ذلك نتذكَّر كلمات الربِّ يسوع التي حيَّرت تلاميذه جدًا لمّا تكلَّم عن دمه. فإنّه قال مؤكِّدًا:

الحقَّ الحقَّ أقول لكم: إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس

لكم حياة فيكم. مَن يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبديّة، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير، لأنَّ جسدي مأكلٌ حقٌ، ودمي مشربٌ حقٌ (يوحنّا ٦: ٥٣-٥٥).

غير أنَّ المسيح مضى موضّحًا ما يعنيه. إذ قال: **مَن يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه (يوحنا٦: ٦٥)**. فيا له من فرح في أن ندرك نبع الحياة الروحيّة الحقيقيّ! لقد سُفك دم المسيح لفداء الخطاة من أسْر خطيّتهم. وبسبب دمه المسفوك نستطيع الآن أن ننال نصيبًا في حياته المشتركة. وقد شرح الربُّ يسوع المعنى الحقيقيّ لشرب دمه إذ قال: «أنا فيه!» ويا للعجب العُجاب!

فإذ قد اختبر المؤمنون شخصيًا قوّة القيامة الكامنة في حضور المسيح الذي يملأ كيانهم، يستطيع كلٌّ منهم أن يشهد بلهجة المنتصر: «إنَّ المسيح الآن يحيا فيّ!» ولهؤلاء، يكون الاشتراك في الخبز والخمر عند تناول عشاء الربّ فعلاً بسيطًا ورمزيًا من الشكر والشهادة.××

إنَّ قدرة الإحياء الخلاّقة الكامنة في دم يسوع الثمين تُنقل مُعجزياً إلى حياة المؤمن، بواسطة قوَّة الروح القدس، عندما يُولدُ من فوقُ الولادة الجديدة. بلى، إنَّ في صُلب بحثِ كلِّ إنسانٍ عن الحياةِ الحاجةَ إلى «عمليّة نقل دم» مُحيية!

×× المؤسف أنَّ ملايين من الناس ما زالوا يصرُّون على اعتقادهم أنَّ الخبز والخمر اللذين يتناولونهما في «الإفخارستيا» يتحوَّلان حرفيًّا إلى جسد المسيح ودمه الطبيعيَّين. فما قصد ربُّنا المبارك أن يُفهم على أنّه رمز إلى حياته الساكنة داخل المؤمن قد فُهم، على نحوٍ مغلوط، باعتباره حقيقة حرفيّة ومادّيّة.

الدم: قوّته الواقية

للدم البشريّ وظيفة أُخرى بعد. فالدم ليس فقط مطهِّرًا للحياة ومعطيًا للحياة، بل هو أيضًا واقٍ للحياة.

سرى الخوف حول العالم عندما شُخِّص وباء الطاعون الدَّبلي في الهند. واستُعملت الأبخرة لتطهير كل طائرة بين القارّات تنطلق من ذلك البلد، كما كان المسافرون في بعض الحالات يُحجَر عليهم وقتيًّا لإجراء الفحص الطبّيّ. ولئلا ينتشر هذا المرض الفتّاك إلى بلدانٍ أخرى، فُرض بعد ذلك حظر موقَّت على جميع الرحلات الجويّة المغادرة للهند. ولكنْ حتّى لو كان الطاعون الدَّبليُّ لا يهدّد الإنسان، يتعرَّض الجسم البشريّ دائمًا لوابلٍ من الهجمات التي تشنُّها جراثيم غريبة تهدِّد الحياة. غير أن للدم آليّة عجيبة للهجوم المضادّ، فهو يحمل في دفقه الواقي للحياة مُضادّاتٍ للسموم وموادًا أخرى محدّدة تُدافع عن الجهاز في وجه الغزو البكتيريّ. وحين يحدث غزوٌ كهذا، فإنَّ خلايا الدم البيضاء (الحاضرة فيه لأغراضٍ دفاعيّة) تتضاعف تضاعُفًا هائلاً وتثب إلى وضعٍ دفاعيّ عجيب.

وما أروع أن نعرف أنَّ لدم الربِّ يسوع المسيح، أشبه بقوّة الدم البشريِّ المذهلة، وظيفةً واقية للحياة أيضًا! فإنّما دم يسوع المسيح هو ما يحمي المؤمن من وابل الهجمات التي تشنُّها القوى الشيطانيَّة. وفي سياق النبوَّة التي تتناول معركة نهاية الدهر بين الشيطان وشعب الله، نقرأ هذه الآية: **وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم، ولم يحبّوا حياتهم حتّى**

الموت (رؤيا ١٢: ١١). وفي وسعك أنت أيضًا أن تدحر هجمات إبليس الشرّيرة بالقوَّة الواقية الكامنة في دم يسوع الثمين.

وقد تمَّ التنبُّؤ بانتصار المسيح هذا على الشيطان بُعيدَ إغواء إبليس لآدم وحوّاء. آنذاك وعد الربُّ الإله بأنَّ «نسل المرأة» هو الذي سوف يجلب على الشيطان هلاكه، إذ خاطب الحيّة قائلاً: **وأضع عداوة... بين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عَقبه (تكوين ٣: ١٥)**. فإنَّ «نسل المرأة» سوف يسحق رأس الشيطان، ولكنْ ليس قبل أن يكون هو – الحيّة – قد نشب في عَقب المسيح. نعم، لقد كان الربُّ يسوع المسيح نفسه، نسلُ المرأة، مَن سفك دمه الثمين... **لكي يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس (عبرانيِّين ٢: ١٤)**.

وعلى خلاف الطلاّب المطاردين للسراب، أولئك الذين التقيناهم في محطة «غار سانلازار» في باريس قد اكتشف كثيرون آخرون نبع الحياة الحقيقيّة.

منذ مدّة التقينا، أنا و«دوروثي»، مئة أُوغنديٍّ ممَّن تيقَّنوا بأنّهم وجدوا الحياة الحقيقيّة. ففي دم الربِّ يسوع الثمين اكتشفوا قوّةً مُطهِّرة ومُحيية ومقاومة لإبليس. وكان في وسعهم أن يشهدوا أنَّه، بالنسبة إليهم، **الأشياء العتيقة قد مضت... الكلُّ قد صار جديدًا (٢كورنثوس ٥: ١٧)**.

ومع أنّنا خالفنا نصيحة موظّفي السفارة في كينيا إذ حذَّرونا من الخطر الوشيك، فقد انطلقنا إلى أوغندا بحافزٍ من روح الله. وقد دبَّر الله توقيت الحلقة الدراسيّة المؤجّلة بحضور القسوس الأوغنديّين

وزوجاتهم. وكما تبيّن لنا لاحقًا، يسَّر أيضًا رحلة عودتنا بالطائرة. (فقد اتفق أنَّ الطيّارة التي سافرنا على متنها كانت آخر واحدة غادرت «عنتيبي» قبل حصول انقلابٍ عسكريّ جديد).

حالَ وصولنا إلى المطار، أحسسنا جوَّ توتُّر وخشية. فالفوضى والأوساخ التي رأيناها كانت تفوق الوصف. وتيسَّرت لنا واحدة من السيارات القليلة في تلك المنطقة، لتنقلنا من المطار على طريقٍ حفَّرتها القنابل. وبعد مسافة قصيرة أوقفنا حاجز عسكريٌّ فيه مسلَّحون أفظاظ. لم ندرِ هل كانوا من جنود الحكومة أو من العسكريّين المناهضين لها، أو مجرّد قطّاع طرق يرتدون زيًّا عسكريًّا. ومن حُسن الصِّدَف أنّهم عرفوا سائقنا الذي ينتمي إلى قبيلتهم الخاصّة، فسمحوا لنا على مضض بمتابعة السير بغير أن نتعرّض لأيّة سرقة أو ضرر.

ولدى بلوغنا مَقصِدنا، تبيّن لي ولزوجتي أن مكان الاجتماع المعدَّ لحلقتنا الدراسيّة مبنى معتم وقذر وسط حيٍّ مخيف. ولكنْ لمّا وصل القسوس وزوجاتهم، نسينا بسرعة كلَّ ما يحيط بنا. فإنّما الربُّ نفسه من أنعم علينا بشعور غامر بحضوره ومجده. ولسوف تبقى تلك الاجتماعات في أوغندا محفورة أبدًا في ذاكرتنا كواحدٍ من اختبارات الذُروة في لقاءاتنا مع الإله الحيّ.

فبانتباه كُلِّيٍّ وسرور، قعد الرعاة وزوجاتهم على بنوك خشبيَّة غير مريحة، ثمانيَ ساعات كلَّ يوم، يُصغون إليَّ وإلى «دوروثي» ونحن نشاركهم في الحقِّ الإلهيّ من الكتاب المقدّس. وبينما أنا أتكلّم، كانت زوجتي تكتب الأفكار الرئيسية على لوحٍ أسود عتيق، لتساعد

السامعين على تدوين ملاحظاتهم في قصاصات ورقٍ عزيزة. وفجأةً سمعنا شجارًا عند الباب. ومع أنَّ أحد الرجُلين السكرانين أوقِف عند المدخل، شقَّ رفيقُه طريقه وسط الحضور ملوّحًا ببندقيَّته وقد صوَّبها إلى قلب «دوروثي». فقالت بهدوء: «لنُصلِّ لأجل هذا الرجل العزيز كي يتعرَّف بالمسيح!»

وبعد لحظات بدت لِي كأنَّها دهور، التفت إليَّ مُترجِمي وقال باندهاشٍ فائق: «لا أكاد أصدِّق ما قاله هذا العسكريُّ السكران. لقد قال من توِّه: أريد أن أعرف إله هذه المرأة!»

وبينما المترجم ما يزال يتكلّم، رأيتُ مشهدًا لن أنساه البتّة. فلسببٍ لا أدريه، جثا المتطفِّل على ركبتيه: هل أجبره ملاكٌ على الركوع؟ أم هل حمله على ذلك الإحساسُ المهيب بقداسة الله وقوَّته السائدتين في اجتماعاتنا إذ كانت أقوى من أن يحتملهما هذا العسكريُّ السكران؟ أم هل حفزه على التعبير صراحةً عن حاجة قلبه الماسّة فعلُ التذلُّلِ الإراديُّ ذاك؟ لست أعلم! ولكنَّ ما أعلمُه يقينًا أنّه في تلك اللحظة بالذات هَوَت ماسورة البندقيَّة ببطء، ثمَّ سقط على الأرض سلاحُ الفتك العمديّ، إذ خرَّ العسكريُّ جاثيًا.

لم يكن ذلك وقتًا مؤاتيًا لجلسة توجيه منظَّمة تلي الاجتماع! وقد علمتْ «دوروثي» ذلك، فقالت له: «كرِّر هذه الصلاة بعدي.» ثُمَّ خطوةً فخطوة اقتادت تلك النفس المسكينة، المحتاجة والمضلَّلة، إلى قاعدة الصليب، إلى مخلِّص الخطاة، حيث وجد صاحبُها نبع كلِّ حياة حقيقيّة بدم يسوع الثمين. تُرى، لماذا أحكي هذا الاختبار الآن؟ فقط من

أجل ما جرى تاليًا في ذلك الاجتماع الذي لا يُنسى.

لقد كان في اجتماعنا ذاك كثيرون ممّن قد يكون لديهم كلُّ سبب وجيه يدعوهم لأن يخافوا – بل لأن يكرهوا أيضًا – ذلك المتطفِّل الفظَّ الذي شقَّ طريقه بهذا العنف الشديد إلى داخل الاجتماع. وكان بيننا أشخاصٌ تعرَّضت حياتهم للتهديد حديثًا. حتّى إنَّ واحدًا من القسوس الحاضرين كان قد فقد أصابع يده لما أطلق النارَ عليه عسكريٌّ مثل هذا في محاولة لقتله باءت بالفشل. ولكنْ لأنَّ أولئك الرجال قد تعرَّفوا بالربِّ يسوع وكانوا يحبُّونه بطريقة شخصيَّة، فقد تحلَّقوا هم أنفسهم حول أخيهم الجديد في المسيح ليضمُّوه إلى صدورهم ويصلُّوا لأجله.

ثمَّ طفقوا يرنِّمون، بلا آلة موسيقيّة، ولكنْ بإيقاع إفريقيّ خلاّب. وما زال التهيُّب يغمر قلبي كلَّما تأمَّلتُ الكلمات التي رنَّموها:

ما أعظم دم يسوع،
ما أعظم دم يسوع،
ما أعظم دم يسوع،
مُطهِّري منَ الخطيَّة!

يا ليت قادة عالمنا كانوا معنا في ذلك اليوم. فلو كانوا، لعاينوا يقينًا الحلَّ الإلهيَّ الوحيد لكلِّ نزاعٍ بين القبائل وبين الأعراق وبين الدُوَل:

وأن يصالِح به الكلَّ لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته... وأنتم الذين

كنتم قبلاً أجنبيِّين وأعداء في الفكر، في الأعمال الشرّيرة، قد صالحكم الآن (كولوسي ١: ٢٠ و ٢١).

نعم، فقط أولئك الذين دخلوا في علاقة صحيحة بالله، بواسطة دم المسيح، يستطيعون أن يقولوا:

ونحن متبرِّرون الآن بدمه، نخلص به من الغضب... فبالأولى كثيرًا، ونحن مصالَحون، نخلص بحياته! (رومية ٥: ٩ و ١٠)

وقفة تأمُّل

١ أتشتاق حقًّا إلى الحياة بكلِّ ملئها؟ هذه هي الحياة التي وصفها الربُّ يسوع لمَّا قال: **وأمّا أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل (يوحنّا ١٠: ١٠)**.

٢ بحسْبما يقول الكتاب المقدّس، في أيِّ جزء من الجسم البشري توجد الحياة؟ (إقرأ لاويين ١٧: ١١)

٣ ما الأهميَّة الأبديّة لدم الربِّ يسوع الثمين؟
أأنت واثق بقوَّته المُطهِّرة؟
أأنت واثق بقوَّته المُحيية؟
أأنت واثق بقوَّته الواقية؟
لقد قال الربُّ يسوع:
أنا هو القيامة والحياة. مَن آمن بي، ولو مات، فسيحيا. وكلُّ من كان حيًّا، وآمن بي، فلن يموت إلى الأبد (يوحنّا ١١: ٢٥ و٢٦).

إنَّ كمال لوحةِ رسّام، وإشراق وجهِ إنسان، وبهاء منظرٍ طبيعيّ، لا يمكن يقينًا أن يُوصف أيٌّ منها وصفًا وافيًا بواسطة الصوت.

فلا بُدَّ هنا من الصورة!

كيف يمكنني أن أصير فردًا في عائلة الله؟

في أوائل العقد الخامس من القرن العشرين، أحرزت العلوم الطبيّة تقدُّمًا باهرًا في مجال جراحة العين. وكان التقدُّم هائلاً حتّى بات ممكنًا ازدراع قرنيَّتين سليمتين من عينَي شخصٍ مات لتوِّه في عيني أعمى. وقد حدَّثنا الدكتور «سانغستر» عن معاينته لنتائج أوّل عمليَّة ازدراع قرنيَّة ناجحة.

فقبل شروق الشمس بوقت طويل، صحب الدكتور «سانغستر» شخصين إلى واحدٍ من أجمل الأرياف في بريطانيا، أحدهما امرأةٌ وُلدت عمياء، والآخر طبيب العيون الذي يعالجها. وكانت طبقات من الضمائد قد حَمَت عيني المريضة من أيِّ نور في الايّام التي تلت عمليَّتها، وقد نُزعت تدريجيًّا، فباتت تشعر بحساسيّة جديدة تجاه النور، وأخذ فيها التأثُّر كلَّ مأخذ. وآنذاك أزيلت آخر ضمادة، قبل الشروق، عن عينَي هذه المرأة التي لم يسبق أن ابصرت قطّ.

لم يكن في ذلك النهار أبهى من شروق الشمس وهي تطلُّ من الأفق البعيد. فالظلال تقاصرت، والأوراق الخضراء عكست جمالها الرقيق على صفحةٍ من بهاء الصباح. والعصافير راحت تقفز فوق المروج المبلَّلة بالندى، منهمكةً في البحث عن فطورها. فوفَّر المنظر كلُّه بهجة

فائقة لامرأةٍ تستطيع أن تبصر أوّلَ مرَّة في حياتها. وسالت الدموع على خدَّيها فيما هتفت: «يا للروعة! لقد حاولتَ أن تصف لي المشهد، ولكنْ ما تخيَّلت قطُّ أن يكون شيءٌ بمثل هذا الجمال العجيب!» ثمَّ قعدت في تهيُّب صامت تتأمَّل عظمة خليقة الله البديعة.

كيف تحاول أن تصف لون الحمرة لشخص ما أبصر قطُّ؟ أو مشهد الغروب المهيب لشخصٍ ما استجابت عيناه للنور قطّ؟ يقينًا أنَّ ذلك مستحيل. فالكلمات التي تصف الجمال المرئيَّ قلّما تكون ذات معنى وافٍ تطرق أذنَي سامع ليس لديه إطارٌ بصريٌّ يضعها فيه. إنَّ كمال لوحة رسّام، وإشراق وجه إنسان، وبهاء منظر طبيعيّ، لا يمكن يقينًا أن يوصف أيٌّ منها وصفًا وافيًا بواسطة الصوت. فلا بُدَّ هنا من الصورة!

والصعوبة عينها تبرز عندما يحاول مؤمنٌ أن يعبّر عن الجمال الروحيّ لشخصٍ غير مؤمن. فمرَّة إذ كنتُ أحادِث طالبَ طبّ يستعدُّ لامتحاناته النهائيّة في مستشفى «غي» اللندنيّ، حاولتُ أن أفسِّر له محبّة الله العجيبة، فأجاب: «لستُ أقدر أن أفهم ما تعنيه.» وأدركتُ مقصوده، إلاّ أنّني واصلتُ حديثي قليلاً، فقلتُ: «لا أخمِّن أنّك تقدر، يا داود، لأنك مثل إنسان يعيش في غرفة مظلمة. وأنا أعلم واقع هذه الحال. فقد سبق أن عشتُ في ظلمة روحيّة أنا نفسي، ولكنّني الآن خارجَ الظلام حيث شمسُ محبّة الله مشرقة. فإن شئت أن تدرك محبّة الله، يجب أن تخرج من تلك الغرفة المُظلمة إلى حيثُ نورُه الباهر.» في ذلك اليوم، جثا داود على ركبتيه طالبًا إلى الربِّ يسوع أن يغفر له خطاياه ويدخل

حياته. ولن أنسى أبدًا ما قاله لي لمَّا نهض مِن على ركبتيه: «ما تصوَّرت قطُّ أنَّ الأمر سيكون بمثل هذه الروعة.»

فكما ينقل إلينا البصر الطبيعيُّ صورةً عن جمال خليقة الله تدخل في إطار اختبارنا البشريّ، هكذا تُبلِّغ البصيرة الروحيّة حقيقةَ حضور الله وقوّته ومحبَّته إلى النفس البشريّة.

بعد صعود الربِّ يسوع إلى السماء، وفي سياق كلامه على يد الرسول يوحنّا، قدَّم تشخيصًا مذهلاً للحالة الروحيّة لدى ملاك كنيسة اللاودكيِّين. فقد خاطبه قائلاً: **لستَ تعلم أنّك أنت... أعمى (رؤيا ٣: ١٧)**. فهل يمكنك أن تتخيَّل شخصًا أعمى لا يعي حالته المحزنة. وبعد تشخيص العمى الروحيّ، مضى الربُّ يسوع واصفًا علاجه: **كحِّل عينيك بكحلٍ لكي تبصر (رؤيا ٣: ١٨)**. وما أهم هذه الوصفة! فإنَّ العمى الروحيّ يتطلَّب جراحة عيون روحيَّة للبصيرة، هي من عمل الروح القدس.

أوّل مرّة وُلِدتَ، كانت الولادة جسديّة. ولكنَّ هذه الولادة لم تزوِّدك بصيرةً وفهمًا روحيَّين. فإن شئتَ أن تهتدي إلى سبيل الخروج من الظلمة الروحيَّة إلى نور **معرفة مجد الله (٢كورنثوس ٤:٦)**، يجب عليك أن تولد مرَّة ثانية. فقد قال الربُّ يسوع لنيقوديموس:

المولود من الجسد جسدٌ هو، والمولود من الروح هو روح. لا تتعجَّب أنّي قلت لك: ينبغي أن تولدوا من فوق (يوحنّا ٣: ٦ و٧)... إن كان أحد لا يولد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله (يوحنا ٣:٣).

وعليه، فإن شئتَ أن ترى ملكوت الله، ينبغي لكَ أنت أيضًا أن تولَد ثانيةً.

شأنك شأن كلِّ كائن بشريٍّ سواك، وُلِدتَ وفي حياتك فراغ يناسب الله وحده ويصرخ طالبًا أن يُملأ. هذا الفراغ الروحيُّ لا يسدُّه ولا يُشبعه إلا حضور المسيح المُقام من الموت إذ يدخلُ حياتك ويسكن داخل كيانك. فعندما تقبل المسيح في داخل حياتك على أنَّه مخلِّصك، يُثمِر في حياتك غَرَض موته ولزومُه. وهو لم يمت فقط كي يغفر لك خطاياك، بل مات أيضًا ليصبح ممكنًا أن يصير قلبك مكانًا طاهرًا من الناحية الروحيّة موافقًا لسُكناه. ومن الضروريِّ أن تُغفر خطاياك حتّى يدخل المسيح قلبك ويسكن فيه.

بينما كنتُ أُحادث مؤمنًا أفريقيًّا شابًا، لمستُ إحساسه الحادَّ بضرورة تبليغ البشارة بالمسيح إلى شبيبة بلاده. وإذ كان عليَّ في الأسبوع التالي أن أُعلِّم الكتاب المقدّس لنحو مئتي راعٍ من رعاة الكنائس، دعوتُه للانضمام إلينا. ومع أنّنا كنَّا نبعد بضع مئات من الكيلومترات عن المكان الذي سيجتمع فيه الرعاة، فقد أشرتُ عليه بأن يستقلَّ حافلة رُكّاب على طول الطريق الوعر كي يجتمع معنا. وفي الموعد المضروب وصل «وليم» متعبًا ومرهقًا، لكن سعيدًا جدًا بأن يُتاح له تعلُّم المزيد عن الله وكلمته. إنَّ «وليم» لم يسافر في الحافلة الأفريقيّة المزدحمة جدًا على سبيل التنزُّه فحسبّ فمن البديهيِّ أنَّ ركوب الحافلة لم يكُن سوى وسيلة انتقاله إلى المؤتمر المنشود، بل كان غرضه الحقيقيّ ما ينتظره عند نهاية رحلته.

وبالمِثل، فقد علّم الربُّ يسوع أنَّ السبيل الوحيد لدخول حياتك كي تكون له شركة معك ولك شركة معه إنّما كان بأن ينجز المهمَّة الجليلة في تطهير قلبك من الخطيّة. ومع أنَّ غفران خطاياك كان ضروريًّا، فقد كانت حياتك الجديدة في المسيح وقدرتك على التمتُّع بالشركة مع الله هُما رغبته القصوى لك. أفيُمكن أن تقنع بأقلَّ من هذا؟ وبعد، فإنَّ هذه العلاقة الشخصيّة بالمسيح هي بالذات الغَرَض الذي لأجله خُلِقت.

فأنْ تعلم أنَّ المسيح ساكنٌ في قلبك لَهُوَ أن تعلم، الآن وهنا، أنَّ الحياة الأبديّة قد بدأت فعلاً فيك. وحضور المسيح ساكنًا في داخل كيانك يأتي إلى حياتك بحياته:

وهـذه هـي الشهادة: أنَّ الله أعطانا حياة أبـديّـة، وهـذه الحياة هي في ابنه. مَن له الإبـن، فله الحياة. ومَن ليس له ابن الله، فليست له الحياة (١يوحنّا ٥: ١١ و١٢).

وهكذا، فمن غير المُدهش أنَّ صديقي «داود» بعدما طلب إلى الربِّ يسوع غفران خطاياه ودخول حياته، قال: «ما كنتُ أتصوّر أنَّ الأمر سيكون بمثل هذه الروعة!»

ولكن... كيف؟

لمَّا سمع الناس الرسول بطرس كارزًا بحياة المسيح وموته وقيامته، أنشأ الله فيهم شوقًا لمعرفة المخلِّص. فقد فعل الروح القدس فيهم ما

هو فاعله فيك. إنّهم أصغَوا إلى بطرس يقول لهم إنَّ يسوع هو الربّ («كيريوس» = يهوه) ومسيحُ الله. وهذا الإدراك الجديد لهويَّة يسوع ولَّد فيهم شعورًا غامرًا بالتبكُّت وبحاجتهم إلى خلاص نفوسهم. ونقرأ في صفحة الوحي أنّهم لمّا فكّروا في رفضهم وعدم اكتراثهم للمصلوب، للمخلِّص بعينه، نُخسوا في قلوبهم، وسألوا مُتلهِّفين: **ماذا نصنع؟ (أعمال ٢: ٣٧)**.

وجاء جواب بطرس الأوَّل لهم حَثًّا على التوبة. فبغير التوبة، لا يكون الإيمان إيمانًا حقيقيًّا، بل يكون مجرَّد «ادّعاء» أو «توهُّم». ذلك أنَّ الإيمان الخلاصيّ يشتمل في آنٍ معًا على موقفِ اتّكال وتغيير في الحياة.

فعندما يدفعك الإتّكال الخالص إلى شكر الربِّ يسوع من أجل ما فعله لأجلك لمّا مات على الصليب، يكون موقفك تجاه الله وتجاه الخطيّة قد شهد تغييرًا جذريًّا. وعندئذٍ فقط يُجري الروح القدس جراحته الروحيَّة في بصيرتك، ويبدأ عقلك ينظر إلى الأمور من منظور مختلف. وفي الواقع أنَّ معنى الكلمة «توبة» هو «تغيير الفكر». وعليه، فإنَّ اختبار الولادة الجديدة الأصيل يشتمل على تغيير جوهريّ في الفكر من نحو الله ومن نحو الخطيّة.

■ **من نحو الله**: إنَّ التوبة (تغيير الفكر) ترفض كلَّ مفهوم زائف من نحو الله. وقد عاينتُ ناسًا في أفريقيا، بعدما خاضوا صراعًا مريرًا مع نزعات طرقهم القديمة وعاداتهم الوثنية، يحرقون أصنامهم الصغيرة علنًا، بعدما رجعوا إلى الربِّ يسوع. ولي أيضًا أصدقاء اضطُرُّوا إلى مقاومة ضغوط اجتماعيّة شديدة، بل كان عليهم أن يواجهوا التهديدات والخطر، عندما

تحوَّلوا عن أنظمة دينيّة أو اجتماعيّة غير وفيّة تجاه إله الكتاب المقدّس. فالإيمان الخلاصيّ يجب أن يضرب جذوره عميقًا في الاعتقاد الراسخ أنَّ يسوع هو يهوه، الربُّ الإله المخلِّص الوحيد.

■ **من نحو الخطيّة**: عندما تَدخلُ بالإيمان اختبارَ خلاصك، تُدرك خطيّتك بحزن وخزي. فإنَّ تغيير فكرك (أي توبتك) من جهة الخطيّة أمرٌ يعني أنّك لن تحاول تجاهُل خطيّتُك في ما بعد؛ ولَن تحاول أن تلتمس الأعذار عن خطيّتك في ما بعد؛ ولن تعود ترجو أن يخلِّصك برُّك. فلسان حالنا، نحنُ البشر الخطاة: **كثوبِ عدَّة كلُّ أعمال برّنا** أمام الإله القدُّوس (إشعياء ٦٤: ٦). ولكنْ عندما ترجع إلى الربِّ يسوع، تنشأ لديك رغبة صادقة في أن ترجع بعيدًا عن تلك الأشياء التي لم تكُن تسرُّه في حياتك.

هبْ عريفًا في الجيش يُمضي إجازة بعيدًا عن ثُكنته. وذات يوم يتلقَّى رسالتين: إحداهما من صديق، والأخرى من رئيسه الضابط. والرسالة الأولى تحمل إليه دعوة إلى عرس صديقه. أمّا الثانية فتنطوي على أمرٍ من رئيسه بأن يلتحق بالخدمة. فبين الدعوة والأمر فرقٌ بكلِّ يقين. إذ يمكن رفض الدعوة بأدب، أمّا الأمر فلا يمكن الرّد عليه إلاّ بالطاعة أو العصيان.

ولأنَّ الله يحبُّك، ويعلم أنَّ الخطيَّة ستدمِّر حياتك، فهو لا يدعوك إلى التوبة دعوةً، بل يأمرك بالتوبة أمرًا .ففي ختام الخطاب الذي فيه قدّم بولس الرسول بشارة الإنجيل للفلاسفة والنظَّارة في عاصمة اليونان

«الجامعيَّة»، قال الرسول: **الله الآن يأمر جميع الناس في كلِّ مكان أن يتوبوا (أعمال ١٧: ٣٠)**. والقول «جميع الناس» يشملك أنت طبعًا.

والمعجزة أنّه عندما ترجع عن الاعتقادات الخاطئة بشأن الله، وتتحوّل كذلك مبتعدًا عن خطيّتك الشخصيّة، وإذ تفعل ذلك بالإيمان تلتفت إلى يسوع لتعترف به على أنّه إلهك المخلِّص، عندئذٍ يعمل الروح القدس في قلبك كي تريد وكي تعمل (راجع فيلبّي ٢: ١٣) ما هو حقٌ في نظر الله. هكذا يعد الله مَن يتوبون حقًّا بإعطائهم الرغبة في العمل بمشيئة الله وكذلك أيضًا القُدرة على العمل بها. عندئذٍ فقط ترتقي حياتك لتبلغ أقصى إمكانيّاتها التي رتَّبها لها الله.

أرجو منك، رجاءَ صديقٍ لصديق، أن تقبل الربّ يسوع المسيح دون إبطاء. إختلِ في مكانٍ هادئ، حيث يمكنك أن تنحني أمام الله في الصلاة. وطبعًا، إن كرَّرتَ الكلمات ببغائيًّا، فلن تفيدك شيئًا. فالأمر المهمُّ هو أن تتجاوب بالإيمان مع المسيح القائل: **أنا هو الطريق والحقُّ والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي (يوحنّا ١٤: ٦)**.

والآن، لعلّك ترغب في إغماض عينيك ورفع صلاةٍ تلقائيّة من صميم قلبك، أو لعلّك تجد في الصلاة التالية المقترحة معوانًا لك.

صلاة تجاوُبي

اللهمَّ، لم يسبق أن عرفتك أو أحببتك. ولكنّني أشكرك لأنَّك عرفتني وأحببتني أيضًا.

أنا خاطئ، ولا أقدر من ذاتي أن أعمل أيَّ شيء لأكسب خلاصي. فبالإيمان ألتفت إليك الآن، أيُّها الربُّ يسوع، وأطلبُ منك الغفران! إنّني أعترف بأنّي خاطئ، وأتوبُ عن خطيّتي.

شكرًا لك، أيُّها الربُّ يسوع، على موتك لأجلي وعلى منحك إيّاي قوَّة دمك الثمين، المطهِّرة والمُحيية. بالإيمان أضع حياتي في حِمى هذا الدم الثمين.

أرجو أن تدخل قلبي، أيُّها الربُّ يسوع، وتتسلَّم قيادة حياتي.

شكرًا لك، ايُّها الربُّ يسوع، لأنَّني بروحك القدّوس قد وُلِدت من جديد.

كم هو رائعٌ في نظري أن أعرف أنّني بقوّة قيامتك صرتُ ولدًا من أولاد الله وسأحيا عندك إلى الأبد. آمين!

والذي يؤمن به (يتّكل عليه ويثق به) لن يُخزى (أو يُخيَّب أمله) (١بطرس ٢: ٦).

والآن، أخبر أحدًا ما بما قمت به للتوّ. تذكّر أنَّ المسيح يسكن فيك، وأنّه كلُّ ما تحتاج إليه من قوّة كي تقدر أن تعترف به وتعيش له:

إن اعترفت بفمك بالربِّ يسوع، وآمنتَ بقلبك أن الله أقامه من الأموات، خَلَصت؛ لأنَّ القلب يؤمَن به للبرّ، والفم يُعترف به للخلاص (رومية ١٠: ٩ و١٠).

رسالة من سلوفاكيا

أصدقائي الأعـزّاء، فرغتُ للتوّ من قراءة أروع كتابٍ قرأتُه في حياتي «بحثك عن الله». إنّي متأكِّد أنّني لن أعود أبدًا مثلما كنتُ في ما مضى، لقد قبلني الربُّ يسوع، وأنا سلّمتُه حياتي. أودُّ أن يصير هذا الفرح من نصيب كلِّ واحدٍ من أصدقائي. لذا ألتمس منكم، إن أمكن، أن تبعثوا إليَّ بنسختين أخريين من الكتاب حتّى أعيرهما للآخرين...

شكرًا لكم على الإتيان بالإنجيل وعطيّة الخلاص بالمسيح إلى حياتي... ما كنّا نعلم أنَّ مثل هذا الكتاب الممتاز موجود!

– من تقرير ترجمه وقدَّمه جي آيي–

وقفة تأمُّل

١ ما هي الطريقة الفُضلى للتعبير عن امتنانك حيال تلقيك عطيّة سخيّة؟
أهي بأن تقول: «رجاءً، أعطني إياها؟»
أم هي بأن تقول: «شكرًا لك!»

٢ أشعورك أم إيمانك يؤتيك اليقين بأنّك ولدٌ من أولاد الله؟
لأنّكم بالنعمة مخلَّصون، بالإيمان؛ وذلك ليس منكم: هو عطيَّة الله (أفسس ٢: ٨).

٣ هل يشتمل إيمانك بالربّ يسوع على:
عُنصر توبة؟
عُنصر تشكُّر؟
موقف اتّكال كلّيّ عليه؟

٤ هلاَّ تشكر الله الآن على خلاصه لك، وتحمد الربَّ يسوع، ليس فقط على ما فعله لأجلك، بل أيضًا على مَن هو في ذاته؟

ليس من شيء لا ظرف ولا ضيق ولا محنة يمكن أن يمسَّني على الإطلاق، بغير أن يكون قبل كل شيء قد مرَّ بالله، ومرَّ بالمسيح، ثمَّ انتهى إليَّ أخيرًا. وإذا كان قد اجتاز هذه المسافة الطويلة، فقد جاء لغاية عظيمة ربّما لا أدركها في اللحظة الحاضرة. ولكنْ إذ أرفض أن يستوليَ عليَّ الهلع والذُّعر، فإذ ارفع عينيَّ إلى عيني الله، وأقبل كلَّ شيء باعتباره آتيًا من عرش الله لغرض بركة عظيم لقلبي بالذات، فما من حزنٍ سيَقُضُّ مضجعي أبدًا، وما من تجربة تسلبني قوَّتي البتّة، وما من طرفٍ يحملني على الاضطراب والقلق. وذلك لانّني سأستقر على فرحي بما هو ربّي عليه.

هذا هو انتصار الإيمان!

– آلان ردباث –

وماذا بعدُ؟

الخلاص مجّانيٌّ مئة بالمئة! فليس من شيء يمكن أن يعمله أيُّ إنسان حتّى يكسب الخلاص. إنَّ الربَّ يسوع قد أكمل عمل الخلاص إلى التمام، وهو مَن يُجريه الآن كاملاً.

وإن كنتَ قد صلَّيت بإخلاص الصلاة المقترحة في ما سبق (أو أيَّة صلاة شبيهة بها)، فإنَّ إيمانك بالمسيح قد جعلك ولدًا حقيقيًّا من أولاد الله.

وأمّا كلُّ الذين قبلوه، فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسْمه (يوحنّا ١: ١٢).

والأرجح أنّك الآن تسأل هذا السؤال: «وماذا بعد؟»

قُبيل ترْك يسوع لتلاميذه لإنجاز مهمَّته في دحر الموت والرجوع بعد ذلك إلى السماء، قال لهم: **اثبتوا فيَّ، وأنا فيكم (يوحنّا ١٥: ٤)**. وبهذه الكلمات عبَّر الربُّ يسوع عن جوهر العيشة المسيحيّة. فمن وجهة نظر الله، يثبت المؤمن في ابنه، حيثُ يلقى الحفظ والحماية إلى أن يصل سالمًا إلى السماء. ولكنْ من منظورٍ بشريّ، لأنَّ الربَّ المُقام أيضًا يثبت في المؤمنين الحقيقيّين، فإنَّ عائلاتهم وأصدقاءهم وزملاءهم في

العمل سوف يتعرَّفون بنوعيّة حياة لا يمكن أن تُفسَّر إلاّ في ضوء سُكنى المسيح داخل المؤمن.

تصوّر، إذا شئت، قضيبًا معدنيًّا في النار، فإذا نظرتَ إليه، يمكنك أن تقول: «القضيب نفسُه المعدنيّ هو في النار.» ولكنْ إذا أمعنتَ النظر، تُلاحظ أيضًا: «النارُ هي في القضيب!»

أو تصوّر، بالمثل، كأسًا تُغطَّس في دلو ماء. فالكأس تكون في الماء، ولكنّ الماء أيضًا يكون في الكأس! فلمّا وُلِدت الولادة الثانية من فوق، عمَّدك (غطّسك) الروح القدس فعلاً في داخل جسد المسيح.

والآن يؤكِّد الكتاب المقدّس لك وللمؤمنين أجمعين هذه الحقيقة: **حياتكم مستترة مع المسيح في الله (كولوسّي ٣: ٣)**. نعم، لأنّك قد وُلدت ثانيةً، صارت حياة المسيح المُقام الساكنةُ فيك حقيقة شخصيّة ومجيدة بقوّة الروح القدس. فالآن يمكنك أن تبتهج لأنَّ ما يقوله الكتاب: **المسيح فيكم، رجاء المجد (كولوسّي ١: ٢٧)** يشملك أنت أيضًا. بلى، لأنّك وُلِدت ثانية، يسكن المسيح المُقام فيك الآن. ويا للروعة!

فلننظر الآن بعدُ في ما يقوله الكتاب فعلاً عن الفاعليّة المحرِّرة في هذه الحقيقة ذات الوجهين: أنا في المسيح، والمسيح فيَّ.

أنا في المسيح

لأنّنا جميعنا بروحٍ واحدٍ أيضًا اعتمدنا إلى جسد واحد... (١كورنثوس ١٢: ١٣).

أم تجهلون أنَّنا، كلَّ من اعتمد ليسوع المسيح، اعتمدنا لموته؟ فدُفِنَّا معه بالمعموديّة للموت، حتّى كما أُقيم المسيح من الأموات، بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضًا في جدَّة الحياة (رومية ٦: ٣ و٤).

لأنّكم قد متُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله (كولوسي ٣: ٣).

منذ سنين مضت تعرّفت بولدٍ صغير مصاب باللوكيميا (إبيضاض الدم). كان آنذاك في السابعة من عمره فقط، وكان ينبغي اصطحابه إلى الطبيب كلَّ ثلاثة أشهر لإعطائه حقنة في حبله الشوكيّ. وفي إحدى الزيارات سأل الطبيب «داريل» الصغير لماذا لا يبكي كسائر الصبيان والبنات عندما تخترق إبرةُ الحَقْن عموده الفقريّ. وسأله الطبيب: «ألا تُوجِعك؟» فقال: «بلى، تُوجِعني! ولكنّك لا تعرف حقيقة الأمر، يا دكتور. فالإبرة تخترق أوَّلاً يد الربَّ يسوع قبل أن تصل إليَّ!» فما أروع أن يتأكَّد لك أن المسيح، لأنّك الآن فيه، قادرٌ على تولّي أمر كلِّ ما يبتلي حياتك ويمسُّها! ذلك هو الإيمان!

ومثلما قبلتَ الربَّ يسوع بالإيمان، فهكذا هو مبدأ الإيمان عينُه ما يُمكِّنُك من تخصيص كفاية الربِّ يسوع المسيح لنفسك كي تفي بكلِّ مطلب من مطالب الحياة. بعبارة أخرى، إنَّ فعل إيمانك الإستهلاليَّ قد فتح لك الباب على موقف إيمانٍ مستديم. **فكما قبلتم المسيح يسوع الربّ، اسلكوا فيه (كولوسّي ٢: ٦).**

ومع أنّك قد وُلِدت من جديد، فإنَّ الله يتوقَّع منك أن تسلك كما سلك المسيح تمامًا لكنّه يفهم ضعفك البشري حين تفشل في ذلك. وقد لقي ملايين المسيحيّين الإحباط الكلّيَّ إذ حاولوا القيام بهذا فباؤوا

بالفشل دائمًا. غير أنَّ الله يُطلعنا على تدبيره العجيب لحياتنا المسيحيّة. فنحن قد مُتنا فعلاً في المسيح. ولأنّنا أموات في المسيح، فنحن أموات بالنسبة إلى جميع مطالب الناموس وحكم دينونته. وعليه، فكما في الماضي هكذا في الحاضر وفي المستقبل، نحن أموات بالنسبة إلى أيِّ أمل بأن يلبّي الجهد الذاتيُّ مطالب الشريعة. نعم، نحن أموات بالنسبة إلى أيّة ذرَّة من الثقة بأنفسنا لنعيش الحياة الروحيّة. ولكنْ حمدًا لله على كوننا أحياءً حياةً مجيدة بالنسبة إلى ما للربِّ يسوع المسيح المُقام من كفاية كليَّة تحمينا وتمدُّنا بالقوَّة!

إنّما تثور المشكلة حين نحاول أن نتولَّى بأنفسنا أمر تجارب الحياة وضغوطها. ولسوف يتبيّن للمؤمن الحديث أنّه في ذاته عاجزٍ عن أن يعيش الحياة المسيحيّة بعد ولادته الجديدة كما كان يعيش قبلاً. وتحذيرًا لنا من هذه النزعة غير السويّة، قال الربُّ يسوع المسيح بصريح العبارة: **بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا (يوحنّا ١٥: ٥)**.

وبالحقيقة أنَّ الرسول بولس، مُتطرِّقًا إلى حماقة بذْل الجهد الذاتيّ، قال للمؤمنين في مقاطعة غلاطيّة كلامًا قاسيًا. فتقويمًا لتحوُّلهم عن المبدأ الإلهيِّ القاضي بوجوب الحياة بالإيمان وحدَه دون سواه، طرح بولس سؤالاً بيانيًّا، تجاهل العارف، وغايته الوصول إلى جوابٍ بديهيّ:

أُريد أن أتعلّم منكم هذا فقط: أبأعمال الناموس أخذتم الروح (القدس) أم بخبر الإيمان؟ أهكذا أنتم أغبياء؟ أبعدما ابتدأتم بالروح تُكمَّلون الآن بالجسد؟ (غلاطيَّة ٣: ٢ و٣).

بالطبع قد بدأوا حياتهم الجديدة في المسيح – شأنهم شأنك – بفعل إيمان. وبذلك الإيمان الواثق فقط يستطيعون أن يرجوا أنّهم سيملكون في الحياة بالواحد: **يسوع المسيح (رومية ٥: ١٧)**.

ففي غلاطيّة، كان المؤسف أنَّ حيويّة الإيمان الواثق قد أُحِلَّ محلَّها عُقم الجهود الذاتيّة عملاً بالناموس. ولكنْ شكراً لله على أنّه إنِ استمررْتَ في عيشة الاتّكال على ربّك الذي اهتديتَ إليه حديثًا فليس من الضروريّ البتّة أن تكون حالة الأمور التي يُرثى لها والتي عمَّت في غلاطيّة هي اختبارك الخاصّ!

المسيح يحيا فيَّ

مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ... (غلاطية ٢: ٢٠).

وإن كان المسيح فيكم، فالجسد ميّت بسبب الخطيَّة؛ وأمّا الروح فحياة بسبب البرّ. وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات... سيُحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم (رومية ٨: ١٠ و١١).

الذين أراد الله أن يُعرِّفهم ما هو غنى مجد هذا السرّ في الأمم، الذي هو المسيح فيكم، رجاءُ المجد (كولوسّي ١: ٢٧).

ليحلَّ (يسكن) المسيح بالإيمان في قلوبكم (أفسس ٣:١٧).

قد تُعبِّر عن إيمانك المتَّكل على حياة المسيح الساكنة فيك بالقول: «شكرًا لك، أيُّها الربُّ يسوع. أنتَ كلُّ ما لستُ أنا إيّاه. فإنّي آذن لك بأن تكون ما أنت عليه، فيَّ وبي معًا.» فالحقيقة المذهلة في حياتك المسيحيّة هي أنَّ الله قد أحال المسؤوليّة عن نجاحك إلى شخصٍ آخر، هو الربُّ يسوع المسيح! والمسيح هو الوحيد القادر على مواجهة تجارب الحياة وفُرَصها التي لا بدّ أن تواجهها انت. فيمكنك أن تكون «لاهوتيًّا» بغير المسيح. ويمكنك أن تكون «واعظًا» بغير المسيح. ويمكنك أن تكون «مرسَلاً» بغير المسيح. ولكنْ يستحيل عليك أن تكون مسيحيًّا حقيقيًّا إن كان المسيح لا يسكن في قلبك!

إنَّ الربَّ يسوع هو الشخص الوحيد الذي يستطيع حقًّا أن يحيا الحياة المسيحيّة الكاملة. وهو الآن بروحه قد جعل مسكنه في قلبك على نحو معجزيّ. فإنّه يستطيع الآن أن يعمل بك ولك ما لا تستطيع أنت البتّة أن تعمله لنفسك. فذاك الطاهر هو طهارتك في عالم فاسد خلقيًّا. وذاك المنتصر هو نصرتك في عالم يغصُّ بالتجارب. وذاك الذي هو محبَّة هو محبّتك في عالم معنيٍّ بمصالح الذات. وبالحقيقة أنَّ مَن هو القيامة والحياة هو حياتُك المسيحيّة بالذات.

وإذ تجعل باتّضاع حياتك في متناول الربّ يسوع، ذاك الذي قد جاء لكي **يطلب ويخلّص ما قد هلك (لوقا ١٩: ١٠)**، يغدو في وسعك الآن أن تتكّل عليه حتّى يطلب ويخلّص النفوس الهالكة من خلالك! وكم تصير الحياة مبهجة حقًّا عندما يتبيّن للمؤمنين أنّهم قناةٌ تتدفّق عبرها حياة المسيح إلى الآخرين!

تذكّر أنَّ المسيح، وإن كان قد رجع إلى السماء، لم ينسلخ عنك قَطّ. فإذ أوشك على ترْك تلاميذه على الأرض، قال لهم:

بعد قليل لا يراني العالم أيضًا؛ وأمّا أنتم فترونني. إنّي حيّ، فأنتم ستحيَون. في ذلك اليوم تعلمون أنّي أنا في أبي، وأنتم فيَّ، وأنا فيكم (يوحنّا ١٤: ١٩ و٢٠).

ولعلّك الآن تسأل: «كيف يمكن لجميع الموارد التي أعطاني الله إياها في المسيح أن تصير واقعيّة وعمليَّة في حياتي؟» سؤالٌ وجيه! إنَّه يقرُّ بالهوّة الواسعة بين إيمانٍ عقليّ وإيمانٍ اختباري. كما أنَّ هذا السؤال ينطوي أيضًا على رغبتك الشديدة في إيمانٍ عامل. فالجواب البسيط هو أنَّ حياة المسيح الظافرة تُطلَق من خلال المؤمن استجابةً للتشكُّرات. إذ إنَّ الإيمان الحقَّ يقول دائمًا: «شكرًا لك!»

فأفضل طريقة مثلاً يمكنك بها التعبير عن إيمانك الخلاصيّ بالمسيح هي أن تشكره على كون خطاياك قد غُفرت. والآن يمكنك أيضًا أن تشكره على حقيقة كونه سيصير لك ما تحتاج إليه تمامًا وقتما تحتاج إليه. (الله)... لا يمكن إرضاؤه إلاّ بشكرانٍ دائم للربِّ يسوع المسيح من أجل كفايته في كلِّ شيء.

لمّا كتب الرسول بطرس رسالة إلى مؤمنين بالمسيح كانوا يُقاسون الاضطهاد من جرّاء ولائهم للربّ يسوع المسيح، حثَّهم أن **قدِّسوا (أجِلُّوا، عظِّموا، كرِّموا، ملِّكوا تمامًا) الربَّ الإله في قلوبكم... (١بطرس ٣: ١٥)**. هُنا يكمن سرُّ الله المعلَن بشأن كيفيّة التصرّف إذا واجهتَ الاضطهاد من أجل إيمانك: تيقَّن بأن يكون يسوع المسيح هو الربَّ

السائد في حياتك.

ربّما تذكر أنَّ واحدًا من أسماء الله في العهد القديم هو «أدوناي». ومعنى «أدوناي»: الربُّ من حيث كونه سيّدي. فهذا المفهوم المتعلّق بالربِّ الإله سيّدًا لي هو الذي استخدمه بطرس لمّا حثَّ المؤمنين قائلاً: «قدِّسوا المسيح ربًّا في قلوبكم.»

وبينما يكون الربُّ يسوع هو سيِّد حياتك، تتمتَّع بشركته الدائمة. عندئذٍ فقط تُتاح لك حقًّا حريّة الوثوق به من جهة المطالب والفُرص التي تواجهها حياتك كلَّ يوم. كما كتب ناظم الترانيم «جورج ماثيسون» قائلاً:

إجعلني ربِّ أسيرَك،
فأكون حُرًّا إذ ذاك؛ أرغِمني أن أُلقي سيفي،
أصِرْ ظافرًا آنذاك.

فعلى نقيض الفكرة الشائعة عن الحريّة، ليست الحريّة الحقيقيّة في حيازتي الحقَّ بأن أفعل ما أشاء، بل هي بالأحرى في حيازتي القوَّة كي أفعل ما ينبغي! أما تذكر كلمات الرسول بولس إذ قال: **أستطيع كلَّ شيء في المسيح الذي يقوّيني (فيلبّي ٤:١٣)؟**

في أثناء النهضة الروحيّة التي حصلت في إيرلندا الشمالية قديمًا سنة ١٨٥٩، أقبل إلى المسيح آلاف الناس. هؤلاء المهتدون إلى الإيمان عبَّروا عن تسليم أنفسهم للمسيح شخصيًّا وجدّيًا بإمضاء «تعهُّد إيمان». وآنذاك اختبر كثيرون الربَّ المُقام اختبارًا مغيّرًا للحياة، حتّى إنَّ الجوَّ الخُلقيَّ في البلد تغيَّر بالفعل تغيُّرًا جذريًّا.

ولئن لم يكن في إمضاء وثيقة كهذه ما يستحقُّ المكافأة، فربّما كان توقيعك للتعهُّد المُدرج في ما يلي يساعدك الآن على تأكيد استجابتك لله على النحو الصحيح.

وإله السلام الذي أقام من الأموات راعيَ الخراف العظيم، ربّنا يسوع المسيح، بدم العهد الأبديّ، ليكمّلْكم في كلِّ عمل صالح لتصنعوا مشيئته، عاملاً فيكم ما يُرضي أمامه بيسوع المسيح، الذي له المجد إلى أبد الآبدين. آمين! (عبرانيين ١٣: ٢٠ و٢١).

رسالة من هنغاريا

شكرًا جزيلاً لكم لإرسالكم إليَّ الكتاب المقدَّس ومعه كتاب «ريتشارد أ. بَنيت»: «بحثُك عن الله».

أنهيت قراءة الكتاب، مراجعًا كلَّ شاهد في الكتاب المقدّس.

إنَّ كتابكم «بحثك عن الله» ساعدني كثيرًا لجلاء ماذا ينبغي لي أن أؤمن به، ولماذا ينبغي أن أؤمن. وبما أنّي الآن مؤمن – بفضل هذا الكتاب – فقد أتممتُ تعهُّدي بالإيمان مدى الحياة.

– من تقرير ترجمته وقدّمته «إذاعة حول العالم» –

والآن، لمساعدتك على إتمام

تعهُّد الإيمان

خاصّ بك، إليك الشواهد الكتابيّة

مدوَّنةً على الصفحتين ١٤٦ و١٤٧

تعهُّدي بالإيمان

إنَّني أقبل الله الآب إلهًا لي وأبًا

رجعتم من الأوثان إلى الله الحيِّ الحقيقي (١تسالونيكي ١: ٩).

إنّني أقبل الربَّ يسوع المسيح على أنّه ربّي ومخلِّصي

يسوع... هذا رفَّعه الله بيمينه رئيسًا ومخلِّصًا، ليُعطي... التوبة وغفران الخطايا (أعمال ٥: ٣١).

إنّني أقبل الروح القدس مالئًا إيّاي بمحبّة الله

لأنَّ محبّة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطى لنا (رومية ٥: ٥).

إنّني أقبل كلمة الله مرجعًا وحَكَمًا لي

كلُّ الكتاب هو موحىً به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البرّ؛ ليكون إنسان الله كاملاً، متأهِّبًا لكلِّ عمل صالح (٢تيموثاوس ٣: ١٦ و١٧).

إنّني أقبل شعب الله على أنّهم شعبي

شعبُك شعبي، وإلهُك إلهي (راعوث ١: ١٦).

إنّني أُكرِّس نفسي كليًّا للربّ

لأنْ ليس أحدٌ منّا يعيش لذاته، ولا أحدٌ يموت لذاته؛ لأنّنا إن عشنا فللربّ نعيش، وإن متنا فللربّ نموت (رومية ١٤: ٧ و٨).

وأنا أفعل هذا كلَّه طائعًا مختارًا

اختاروا لأنفسكم اليوم مَن تعبدون... وأمّـا أنا وبيتي فنعبد الربّ (يشوع ٢٤: ١٥).

وبإخلاص

في بساطة وإخلاص الله، لا في حكمة جسديّة، بل في نعمة الله، تصرَّفنا في العالم (**٢**كورنثوس ١: ١٢).

وتطوُّعٍ قلبيّ

شعبك منتدَب في يوم قوَّتك (المزمور ١١٠: ٣).

وإلى الأبد

مَن سيفصلنا عن محبَّة المسيح: أشدَّة أم ضيق، أم اضطهاد أم جوع، أم عُري أم خطر أم سيف؟ (رومية ٨: ٣٥).

الإمضاء: _____

التاريخ: _____

نموُّك في الإيمان

www.ccim-media.com